حرف الدال المهملة

٦٩ ـ دارا بن منصور بن دارا بن العَلاء

ابن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن علي بن عيسى بن يَزْدَجِرْد
ابن شهريار ، أبو الفتح الفارسي

ورد دمشق صحبةَ نور الدين رحمه الله ، وكان يكتبُ له بالعربيِّ والعجميّ ، وكان جدُّه دارا كاتباً للسلطان أبي الفتح ملك شاه ؛ ثم ترك الكتابة وانقطع في منزله ، وقال يصف حالَه : [من الكامل]

قالَتْ أميمةُ إذْ رأتْ مِن عُطْلتي ... ما استكثَرَتْهُ وحقُّ ذا مِن شاني :
أنَبا بكَ الديوانُ أمْ بكَ نَبْوَةٌ ... عنهُ فتقعُدَ خارجَ الديوانِ ؟
إذْ أنْتَ مَنْ شهدَ اليراعةُ أنَّه ... في حلبتَيْها فارسُ الفرسانِ
أو كنْتَ مَنْ أفنىٰ ثَميلَةَ عمرِهِ ... وشبابَهُ في خدمةِ السلطانِ
ولَكَمْ مُقامٍ قمتَ فيه وَمَجْلِسٍ ... رُفِّعتَ فيه إلى أعزِّ مكانِ
وكتابةٍ سيَّرْتَ مِن إيرادها ... ما سيَّرَتْهُ البُرْدُ في البلدانِ
فلِمَ اطَّرحْتَ وَلِمْ جَفَتْكَ عصابةٌ ... لهمُ بحقِّكَ أصدقُ العرفانِ ؟
فأجَبْتُها إنَّ الأحاجي لم تزَلْ ... مقدورةً لرجالِ كُلِّ زمانِ
إنْ لَمْ أنَلْ فيهم كِفاءَ فضيلتي ... فالفَضْلُ ينطِقُ لي بكلِّ لسانِ
[٤٦/أ] ولَوانَّ نفسي طاوعَتْني لم أكُنْ ... في نَيْلِ أسباب الغنى بالوانِي
ولَرُبما لحِقَ الجواهرَ بِذْلَةٌ ... مِن بعدِ ما رُصِّعْنَ في التيجانِ

٧٠ ـ داود بن إيشا بن عوبد بن باعز[١]

ابن سلمون بن نحشون بن عونيارب بن إرَم[٢] بن حصرون بن فارص

ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

ويقال : داود بن زكريّا بن بشوى

نبيُّ الله وخليفتُهُ في أرضه ، من أهل بيت المقدس . رُوي أنه جاء إلى ناحية دمشق ، وقتلَ جالوت عند قصر أم حكيم بقُرْبِ مَرْجِ الصُّفَّر[٣] .

حدَّث سعيد بن عبد العزيز ، قال

في قول الله عزَّ وجل : ﴿ إنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، ومَنْ لَمْ يطعَمْهُ فإنَّهُ مِنِّي ﴾[٤] قال : هو النهر الذي عند قنطرة أمِّ حكيم بنت الحارث بن هشام . وقال سعيد بن عبد العزيز : وقيل : غسلُ يحيى لعيسى عليهما السلام .

كان سببُ ماأراد الله عزَّ وجلَّ من الخير والكرامةِ بداود أنَّه كان داود مع أربعة إخوةٍ له ، وكان أبوهم شيخاً كبيراً ، فخرج إخوةُ داود مع طالوت وتخلَّف أبوهم ، وأمسك داودَ يرعى غنماً له ، وقد تقارب الناس للقتال ، ودنا بعضهم من بعض ؛ وكان داودُ رجلاً قصيراً ، أزرقَ ، أزْعَرَ ـ قليلَ شعرِ الرأس ـ طاهرَ القلب ؛ فبينما هو في غنمه يرعاها إذْ أتاه نداء : يادادودُ ، أنت قاتلُ جالوتَ فما تصنعُ هاهنا ؟ ! استودعْ غنمك ربَّكَ عزَّ وجلَّ والْحَقْ بإخوتك ، فإنَّ طالوتَ قد جعل لمن يقتلُ جالوتَ نصفَ مالِهِ ، ويزوجُهُ ابنتَه . قال : فاستودع غنمه ربَّه ، وخرج حتى أتاه ؛ فقال له : ماجاء بك ؟ قال : جئتُ ألحق بإخوتي فأنظرَ ماحالُهم ـ وكره أنْ يخبر أباه بما سمع ، وقيل إنَّ أباه اتخذ لإخوته زاداً ـ فقال له :

---

(١) في الأصل (ناعر) وكذا في التاريخ ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه من « الإكال » ١٧٢/١ و « تاريخ الطبري » ٤٧٦/١ و « تاج العروس » (بعز) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي « الإكال » (عمي ناذب بن رام) وفي « الطبري » (نادب) بالدال المهملة ، وفي « جمهرة الأنساب » ص ٥٠٥ (عمينا ذاب) وفي « الكامل » ٢٢٣/١ (عمي نوذب بن رام) .

(٣) مرج الصفّر : موضع بين دمشق والجَوْلان ، صحراء كانت وقعة مشهورة في أيام بني مروان . وقصر أم حكيم منسوب إلى أم حكيم بنت يحيى ، ويقال بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن العاصي بن أمية ، زوجة هشام بن عبد الملك . (معجم البلدان) .

(٤) سورة البقرة ٢٤٩/٢

يـابُنيّ ، انطلق إلى إخوتـك بـما صنعنـا لهم يتقـوَّوْنَ بـه على عـدوّهم ، فـادفعْـهُ إليهم وانظر ما حالُهم ، وعجِّلِ الانصراف إليَّ وإلى ضيعتك .

[٤٦ / ب] ورُوي عن جماعةٍ علماء أنَّ داود خرج ومعـه زادٌ لإخوتـه ، ومعـه عصـاه ومِخْلاتُه ومِرْجَمَتُه ، وهي القذَّافة ، وهي المقلاع الـذي يرمي بـه السبـاع عن غنمـه . قـال : فبينا هو يمشي إذْ ناداه حجرٌ فقال : ياداود ، احْمِلْني أقتل لك جالوت . قـال : من أنت ؟ قال : أنا حجَرُ إبراهيم الذي قتل بي كذا وكذا ، أنا أقتلُ جالوت بإذن الله . قال : فحمله ، فجعله في مِخْلاتِـه ثم مضى ؛ فنـاداه حجَرٌ آخر فقـال : يـاداودُ ، احمِلْني ؛ قـال : من أنت ؟ قال : أنا حجَرُ إسحاق الذي قتل بي كذا وكذا ، أنا أقتلُ جالوتَ بإذْنِ الله . قـال : فحملـه وجعله في مخلاته ثم مضى ؛ فـإذا هو بحجرٍ آخر فقـال : يـاداود ، احملْني معـك ؛ قـال : من أنت ؟ قال : أنا حجَرُ يعقوب ، أنا أقتلُ جالوتَ بإذْن الله عزَّ وجلّ ؛ فقال له داود : كيف تقتلُه ؟ قال : أستعينُ بالريح ، فتلقي بَيْضَته ، وأصيبُ جبهته فأنفُذُها منه فأقتلُه ؛ فحمله وجعله في مِخْلاته .

قال وهبُ بن مُنَبِّه :

لمّا تقدَّم داود أدخل يده في مخلاته فإذا تلـك الحجـارةُ الثلاثـة صـارت حجراً واحـداً . قال : فأخرجه فوضعه في مقلاعه ؛ فأوحى الله إلى الملائكة أنْ أعينوا عبدي داودَ وانصرُوه . قال : فتقدَّم داود وكبَّر ؛ قـال : فـأجـابـه الخَلْقُ غَيْرَ الثقلَيْن ؛ الملائكـة وحملـة العرش فَمَن دونهم ؛ فسمع جـالوتُ وجنـدُه شيئـاً ظنُّوا أنَّ الله عزَّ وجـلَّ قـد حشر عليهم أهـلَ الـدنيـا ؛ وهبَّتْ ريـحٌ وأظلمت عليهم ، وألقت بَيْضـةَ جـالـوتَ ، وقـذف داودُ الحجر في مقـلاعـه ، ثم أرسله ، فصار الحجر ثلاثةً ، فأصاب أحَـدُهم جبهـةَ جـالوت ، فنفَـذَ هـامتَـه فـألقـاه قتيلاً ، وذهب الحجَرُ الآخر فأصاب مَيْمَنة جند جالوت فهزمهم ، والثـالث أصـاب المَيْسَرة فهزمهم ؛ وظنُّوا أنَّ الجبـال قـد خرَّت عليهم ، فولَّـوا مـدبرين ، وقتـل بعضُهم بعضـاً ؛ ومنـح الله عـزَّ وجلَّ بني إسرائيل أكتـافَهم حتى أبـادهم . وانصرف طـالوت ببني إسرائيل مظفَّراً ، قـد نصرهم الله عزَّ وجلَّ على عدوّهم . فزوَّج ابنتَه من داودَ عليه السلام ، وقاسَمَهُ نصف ماله .

[٤٧ / أ] رُوي عن عَبْدةَ بن حَزْن النَّصْريّ قال :

تفاخر عند رسولِ الله ﷺ أصحابُ الإبل وأصحابُ الغنم ، فقال أصحابُ الإبل : ومـا

أنتم يارُعاةَ الشاء ، هل تحيونَ شيئاً أو تصيدونَه ؟ ! ماهي إلاَّ شويهات أحدكم ، يرعاها ثم يروُحُها .. حتى أصمتوهم . فقال النبي ﷺ : بُعِثَ داود وهو راعي غنم ، وبُعث موسى وهو راعي غنم ، وبُعثتُ أنا وأنا أرعى غنمَ أهلي بأجْيَاد[1] . فغلبهم أصحابُ الغنم .

وفي حديثٍ آخر بمعناه :

تفاخر رِعاءُ الإبل ورعاءُ الغنم عند رسول الله ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ : بُعث موسى راعيَ غنم ، وبعثتُ أنا راعيَ غنم بأجْيَاد . فغلبهم رسولُ الله ﷺ .

وعن ابن عباس قال ؛ قال رسولُ الله ﷺ :

أُنزلَتِ الصحفُ على إبراهيمَ في ليلتين من رمضان ، وأُنزل الزَّبُور على داود في ست ، وأُنزلَتِ التوراةُ على موسى لثمان عشرة من رمضان ، وأُنزل الفرقانُ على محمد ﷺ لأربع وعشرين من رمضان .

وعن مجاهد قال :

قلتُ لابن عباس : أسجد في ﴿ ص ﴾ ؟ فتلا هذه الآية : ﴿ ومن ذُرِّيَّتِهِ داودَ وسليمان ﴾[2] إلى قوله : ﴿ أولئك الذين هَدَى الله فبهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[2] ؟ قال : كان داود ممن أُمر نبيُّكم ﷺ أن يقتديَ به .

وعن ابن عمر قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

حقّاً لم يكنْ لقمانُ نبيّاً ، ولكنْ كان عبداً ضَمْصامةً ، كثير التفكير ، حسَنَ الظنّ ؛ أحبَّ الله فأحبَّه ، وضمن عليه بالحكمة . كان نائماً نصف النهار إذْ جاءه نداءٌ : يالقمان ، هل لك أنْ يجعلك الله خليفةً في الأرض فتحكم بين الناس بالحق ؟ فانتبه ، فأجابَ الصوتَ فقال : إنْ يُخيِّرْني ربي قبلت ، فإني أعلم إنْ فعل ذلك بي أعانني وعلَّمني وعصَمني ، وإنْ خيَّرني ربي قبلتُ العافيةَ ولم أقبل البلاء . فقالتِ الملائكةُ بصوتٍ لا يراهم : لِمَ يالقمان ؟ قال : لأنَّ الحاكم بأشدِّ[3] المنازلِ وأكدرِها ، يغشاه الظُّلْم من كُلِّ مكان ، ينجو ويُعان

---

(١) أجياد : موضع بمكة يلي الصفا . (معجم البلدان) .

(٢) سورة الأنعام ٨٤/٦ ـ ٩٠

(٣) في الأصل (باشل) وإلى جانب السطر حرف (ط) إشارة إلى غوضها أو خطئها ، وكذا في التاريخ (ب) وفي (د) : (بأشلى) وما أثبته من « كنز العمال » ١٢٨/٧

[٤٧ / ب] وبالحريّ أن ينجو ؛ وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ؛ ومن يكن في الدنيا ذليلاً حُرم أنْ يكون شريفاً ؛ ومَنْ يختَرِ الدنيا على الآخرة تفتنْهُ الدنيا ولا يصيبُ ملك الآخرة .

قال : فعجبتِ الملائكةُ من حُسْنِ منطقه . فنام نومةً ،فَغُطَّ بالحكمة غطّاً ، فانتبه فتكلَّمَ بها . ثم نُودي داودُ بعدَهُ فقبلها ولم يشترطْ شرط لقمان ؛ فهوى في الخطيئة غيرَ مرَّة ، وكل ذلك يصفح الله ويتجاوزُ ويغفرُ له . وكان لقمانُ يؤازرُهُ بالحكمة وعِلْمِه ؛ فقال له داود : طوبى لك يالقمان . أُوتيتَ الحكمة وصرفت عنك البليَّة . وأُوتِيَ داودُ الخلافة وابْتُلِيَ بالرزيَّة - أو الفتنة .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسولُ الله ﷺ :

كان داود يقول : اللهمَّ إني أسألُكَ حُبَّك ، وحُبَّ من يُحِبُّك ، والعملَ الذي يبلِّغني حُبَّك ؛ اللهمَّ اجعَلْ حُبَّك أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ، ومن الماء البارد . قال : وكان رسولُ الله ﷺ إذا ذكر داودَ وحدَّث عنه قال : كانَ أعْبَدَ البَشَر .

وعن أنس بن مالك

أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ : ياخير الناس . قال : ذاك إبراهيم . قال : ياأعْبَدَ الناس . قال : ذاك داود .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

قلت : يارسولَ الله ، إني رجلٌ أسردُ الصوم ، أفأصوم الدَّهْر ؟ قال : لا ، قلت : أفأصوم يومَيْن وأُفطر يوماً ؟ قال : لا . قال : فجعلتُ أُناقِصُه حتى قال لي : صُمْ صَوْمَ داود ، فإنه كان يصومُ يوماً ويفطر يوماً .

وعنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

خَيْرُ الصيام صيامُ داود ، كان يصومُ نصف الدَّهْر ؛ وخيرُ الصلاةِ صلاةُ داود ، كان يرقدُ نصفَ الليلِ الأول ، ويصلِّي آخر الليل ، حتى إذا بقي سدس الليل رقده .

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسولُ الله ﷺ :

ياعبد الله بن عمرو ، إنك تصوم الدهر ، وتقوم الليل ، إنك إذا فعلْتَ ذلك هجَمَتْ

له العين ونَفِهَتْ له النفس[1] . لا صام من صام الأبَد ؛ صَوْمُ ثلاثةِ أيامٍ من كل شهر صومُ الدهر كله . فقلتُ : إني أطيق أكثر من [٤٨ / أ] ذلك ، فقال : صُمْ صَوْمَ داود ، كانَ يصومُ يوماً ويفطرُ يوماً ، ولا يفرُّ إذا لاقى .

وفي حديثٍ آخرَ بمعناه :

فإنه أعدلُ الصيام عند الله عز وجلّ .

وقال : هذا هو الصحيح في صومه .

وقد روى عن عليّ قال :

كان داودُ النبيُّ صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم يصوم يوماً ويفطر يومين : يوماً لقضائه ويوماً لنسائه .

وعن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :

خُفِّف على داودَ القرآنُ ؛ فكان يأمرُ بدابَّته فتُسْرَج ، فكان يقرأُ القرآنَ من قبلِ أنْ تُسْرَج دابَّتُه[2] ؛ وكان لا يأكلُ إلاّ من عمل يديه .

قال سفيان :

سألتُ الأعمش عن قوله ﴿ وألَنَّا له الحديد ﴾[3] ؟ قال : مثل الخيوط .

وعن ابن أبي نَجيح :

في قوله : ﴿ وقدِّرْ في السَّرْد ﴾[4] ؟ قال : لا يُدِقُّ[5] المسمار فيسلَسَ في الحَلْقة ، ولا يُجِلُّه[5] فيفصِمَها ، واجعَلْهُ قدراً .

---

(١) هجمت العين : غارت ، ونفهت النفس : كَلَّتْ وأعيت . وفي الأصل (نقهت) بالقاف وهو تصحيف .

(٢) قال ابن حجر : المراد بالقرآن القراءة ، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وقيل المراد الزبور ، وقيل التوراة ؛ وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذي أوحي إليه ، وإنما سماه قرآناً للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن . أشار إليه صاحب المصابيح ، والأول أقرب . ا هـ . انظر فتح الباري ٣٢٦/٦

(٣) سورة سبأ ١٠/٣٤

(٤) سورة سبأ ١١/٣٤

(٥) كذا في الأصل بالياء المضمومة . وفي تفسير مجاهد ٥٢٣/٢ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد : « قدر المسمار والحلق ، لا تدق المسامير فتسلسل ، ولا تُجلها فتقصم » . وانظر اللسان (سرد) .

وعن قتادة :

﴿ وعلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ﴾[1] قال : كانت صفائح ، وأوَّلُ من سَرَدَها وحَلقها داود .

قال وهبُ بن مُنَبِّه :

أقام داود عليه السلام صدراً من زمانه على عبادةِ ربِّه ، ورحمته للمساكين ، وكانَ قلَّ يومٌ إلاَّ وهو يخرج متنكِّراً لا يُعرف ، فإذا لقي القُدَّام ساءلهم عن مَقْدَمِهم ثم يقول : أرأيتم داودَ النبيَّ كيف حالُه هو لأمَّته ، ومن هو بين ظهرَيْه ، وهل ينقمون من أمره شيئاً ؟ فيقولون : لا ، هو خَيْرُ خَلْقِ الله عزَّ وجلَّ لنفسه ولأمَّته ؛ حتى بعث الله مَلَكاً في صورة رجل قادم ، فلقيه داود ، فسأله كما كان يسأل غيره ؟ فقال : هو خير الناس لنفسه وأمته ، إلاَّ أنَّ فيه خصلةً لو لَمْ تكنْ فيه ، كان كاملاً !. قال : ماهي ؟ قال : يأكلُ ويطعمُ عِيالَهُ من مالِ المسلمين ؛ فعند ذلك نَصِب داودُ إلى ربِّه عزَّ وجلَّ في الدعاء أنْ يعلِّمَهُ عملاً بيده يستغني به ويُغني به عيالَه ، فألانَ اللهُ عزَّ وجلَّ له الحديد وعلَّمه صنعةَ الدروع ؛ فعَمِلَ الدِّرْعَ وهو أوَّلُ من عملها . فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أنِ اعْمَلْ سابغاتٍ وقدِّرْ في السَّرْدِ ﴾[2] يعني المسامير في الحَلَق . قالَ : وكان يعملُ [٤٨ / ب] الدرع ، فإذا ارتفع من عَمِلَةِ درعٍ باعها ، فتصدَّق بثلثها ، واشترى بثلثها ما يكفيه وعيالَه ، وأمسك الثلث يتصدَّق به يوماً بيوم إلى أن يعملَ غيرها . وقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أعطى داود شيئاً لم يعطِهِ غيره ، من حسن الصوت من خلقه ؛ إنه كان إذا قرأ الزَّبُورَ يسمع الوحش إليه حتى تؤخذَ بأعناقها وما تنفر . وما صنعتِ الشياطينُ المزامير والبَرَابط والصُّنوج إلاَّ على أصناف صوته . وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبورَ بالقراءة كأنما ينفخُ في المزامير . وكان قد أُعطيَ سبعين مزموراً في حَلْقه .

وعن عروة قال :

كان داودُ النبيُّ صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم يخطبُ الناس وهو نبيّ ، وهو يعمل قُفَّةً من خُوص ، ويقول لبعض من يليه : اذهَبْ فبعْها .

---

(١) سورة الأنبياء ٨٠/٢١

(٢) سورة سبأ ١١/٣٤

وعن أبي الزاهريّة قال :

كان داودُ النبيُّ ﷺ يعملُ القفاف فيبيعها ويأكل ثمنها . وكان موسَّعاً عليه .

وعن الزُّهري :

﴿ أوِّبي معه ﴾[1] قال : سبِّحي معَه .

قال ثابت :

كان داودُ نبيُّ الله ﷺ قد جزَّأ ساعات الليل والنهار على أهله ، ولم تكن تأتي ساعةٌ من ساعات الليل والنهار إلاَّ وإنسانٌ من آل داودَ قائمٌ يصلِّي ، فعمَّهمُ الله في هذه الآية : ﴿ اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً ، وقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُوْر ﴾[2] .

قال مِسْعَر :

لَمَّا قيل لهم : ﴿ اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً ﴾ لم يأتِ على القوم ساعةٌ إلاَّ ومنهم مُصَلٍّ .

وقال ابن شهاب :

في قوله عزَّ وجلَّ ﴿ اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكْراً ﴾ قال : قولوا : الحمدُ لله .

قال ثابت البُنَانيّ :

كان داود عليه السلام يطيلُ الصلاة ، ثم يركعُ ثم يرفعُ رأسه ، ثم يقول : إليك رفعتُ رأسي يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها ، يا ساكن السماء .

قال وُهَيْب بن الوَرْد :

كان داودُ النبيُّ ﷺ قد جعل الليل عليه وعلى أهل بيته دُوَلاً ، لا تمرُّ ساعةٌ من ليل إلاَّ وفي بيته لله ساجدٌ وذاكر ، فلما كان نوبةُ [٤٩ / أ] داود قام يُصلِّي لنوبته ، فكأنَّه دخلَ قَلْبَه مما هو وأهلُ بيته من العبادة ؛ فاطَّلع الله على قلبه وعُجْبِه مما هو فيه وأهل بيته من العبادة ، وكان بين يديه نهر ، فأنطق الله ضِفْدعاً من ذاك النهر فنادَتْهُ فقالت : ياداود ، ما يعجبُكَ مما أنت فيه وأهل بيتك من العبادة ؟ فوالذي أكرمك بالنبوَّة ، إني لقائمةٌ لله على رِجْلٍ ما استراحَتْ أوْداجي من تسبيحه منذُ خلقني الله إلى هذه الساعة ، فما

---

(١) سورة سبأ ١٠/٣٤

(٢) سورة سبأ ١٣/٣٤

الذي يعجِبُكَ مما أنت فيه وأهل بيتك ؟ قال : فتصاغر إلى داود ما هو فيه وأهلُ بيته من العبادة .

وعن سفيان :

في قوله تعالى : ﴿ واذْكُرْ عَبْدَنا داودَ ذا الأيْدِ ﴾[1] ذا القوَّةِ في أمْرِ الله ، والنُّصرة في أمر الله والبصيرة .

قال صدقةُ بن يسار :

كان داود في محرابه ، فأبصر دودةً صغيرة ، قال : ففكَّر في خَلْقها وقال : مايعبَأُ الله عزَّ وجلَّ بخَلْق هذه ! قال : فأنطقها الله عزَّ وجلَّ فقالت : يا داود ، أتعجبُكَ نفسُك ؟ لأنا على قَدْرِ ما آتاني الله عزَّ وجلَّ أذْكَرُ لله وأشْكَرُ له منك على ما آتاك الله . قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وإنْ مِنْ شيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحَمْدِه ﴾[2] .

قال أنس بن مالك :

إنَّ داودَ نبيَّ الله صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم ظَنَّ في نفسه أنَّ أحداً لم يمدحْ خالقَه أفضلَ ما مدحه ، وأنَّ مَلَكاً نزل وهو قاعدٌ في المحراب والبركة إلى جنبه ، فقال : يا داود ، افْهَمْ إلى ما تصوِّت الضفدع ؛ فأنصت داود ، فإذا الضفدع تمدحُه بمدحةٍ لم يمدَحْهُ بها داود ؛ فقال له المَلَك : كيف ترى يا داود ؟ فهمت ما قالت ؟ قال : نعم ، قال : ماذا قالت ؟ قال : قالت سبحانك وبحَمْدِك ، منتهى علمك يا ربّ . قال داود : لا ، والذي جعلني نبيَّه إني لم أمدَحْهُ بهذا .

وعن المغيرة بن عُتَيبة قال :

قال داود : ياربّ ؛ هل باتَ أحَدٌ من خلقك الليلةَ أطول ذكراً لك مني ؟! فأوحى الله إليه : نعم ، الضفدع ؛ وأنزل الله عليه ﴿ اعملوا آل داودَ شُكْراً ، وَقَليلٌ مِنْ عِبادِي الشَّكُور ﴾[3] . [٤٩ / ب] قال : يارب ، كيف أُطيق شُكْرَك وأنت الذي تُنْعِمُ عليّ ؟! ثمَ

---

(١) سورة ص ١٧/٣٨

(٢) سورة الإسراء ٤٤/١٧

(٣) سورة سبأ ١٣/٣٤

قال : يارب ، كيف أُطيقُ شكرك وأنت الذي تنعم عليَّ ثم ترزقُني على النعمة الشكر ، ثم تزيدني نعمةً بعدَ نعمة ؟! فالنعمةُ منك يا ربِّ ، والشُّكْرُ منك ، فكيف أُطيق شكرك ؟ قال : الآن عرفتني يا داودُ حَقَّ معرفتي .

وعن ثابت وغيره قال :

أمسى داود عليه السلام صائماً ، فلمَّا كان عند إفطاره ، أُتِيَ بشَرْبة لَبن ، فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ قالوا : من شاتنا ، قال : ومن أين ثمنُها ؟ قالوا : يا نبيَّ الله ، من أين يُسأل ؛ قال : إنَّا معاشرَ الرُسل أُمرنا أنْ نأكلَ من الطيِّبات ونعمل صالحاً .

وعن سعيد المَقْبُريّ ، عن أبيه قال :

قال داود : يارب ! قد أنعمت عليَّ كثيراً ، فدُلَّني على أنْ أشكرَكَ كثيراً ؛ قال : اذْكُرني كثيراً ، فإذا ذكرتني فقد شكرتني ، وإذا نسيتني فقد كفرتني .

وعن أبي الجَلْد[1] قال :

قرأت في مَسَلَةِ داودَ عليه السلام أنه قال : أيْ رب ، كيف لي أنْ أشكُرَكَ وأنا لا أصلُ إلى شكرك إلا بنعمتك ؟ قال : فأتاهُ الوَحْيُ أنْ يا داود ، أليس تعلمُ أنَّ الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يارب . قال : فإني أرضى بذلك منك شكراً .

وعن سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخي أنَّ داود عليه السلام كان يقول :

سبحان مستخرِجِ الشكرَ بالعطاء ، ومستخرِجِ الدعاءَ بالبلاء .

وعن الحسن قال :

قال داود : إلهي ، لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبِّحانك الليلَ والنهار ما قضيا نعمةً من نعمك .

قال أبو المنذر :

قال داودُ عليه السلام لَمَّا أصاب الذنبَ وتابَ اللهُ عليه : اللهمَّ ، ألْهمني شكراً يرضيكَ

---

(١) هو جيلان بن فروة أبو الجَلْد بفتح الجيم كما في الإكمال ١٨١/٣ والتاريخ الكبير ٢٥١/٢ . ووقع في تاج العروس (جلد) طبع الكويت : الجِلْد بكسر الجيم ضبط قلم .

عني ؛ قال : فألهم داود أنْ قُلْ : الحمد لله ربِّ العالمين كما ينبغي لكرم وجهك وعزِّ جلالك . فجعل يقولها ، فنُوديَ من السماء : ياداودُ ، أتعبت الكَتَبة .

وعن عبد الله بن عامر قال :

أُعطيَ داودُ عليه السلام من حُسْنِ الصوت ما لم يُعطَ أحَدٌ قطُّ حتى إنْ كان الطيرُ والوحش لتعكفُ حَوْلَهُ حتى تموت [٥٠/أ] عطشاً وجوعاً ، وإنَّ الأنهار لتقف .

قال وهبُ بن مُنَبِّه :

كان داودُ إذا قرأ القرآن لم يسمَعْهُ شيءٌ إلاَّ حَجَل كهيئة الرقص .

قال ابنُ عائشة :

كان لداود صوتٌ يطربُ المحموم ، ويُسْلي الثُّكْلى ، وتصغي له الوحشُ ، حتى تؤخذ بأعناقها وما تشعر .

وعن وهب بن مُنَبِّه :

إنَّ بَدِيءَ[1] ما صُنعتِ المزاميرُ والبَرَابط والصُّنوج ، على صوت داود ؛ كان يقرأ الزَّبُور بصَوْتٍ لم تسمع الآذانُ بمثله قط ، فتعكفُ الجنُّ والإنسُ والطير والدوابُّ على صوته حتى يهلِك بعضُها جوعاً ؛ فخرج إبليسُ مذعوراً لما رأى من استئناسِ الناسِ والدوابِّ بصوت داودَ بالزَّبور ، فدعى عفاريته فقال : ما هذا الذي هدَّأكم فيَنْ أنتم بين ظهرَيْه ؟! قالوا : مُرْنا بما أحببت ، قال : فإنه لا يصرفُهم عنه إلاَّ ما يشبهه ما يسمعون منه ؛ فعند ذلك احتفروا المزامير والبَرَابط ، واتخذوا الصُّنوج على أصناف صوته . فلمَّا سمع ذاك غُواةُ الناسِ والجن انصرفوا إليهم ، وانصرفتِ الدوابُّ والطير أيضاً ، وقام داود في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله ، نبيّاً حكيماً عابداً مجتهداً . وكان أشدَّ الأنبياء اجتهاداً وأكثرَهم بكاءً حتى عرض له من فتنة تلكَ المرأة ما عَرض ، وكان له محرابٌ يتوحَّد فيه لتلاوة الزَّبُور ، ولصلاته إذا صلَّى ؛ وكان أسفلَ منه بستانٌ لرجلٍ من بني إسرائيل يقال له أوزيا بن صورى[2] ، وكانت امرأتُه سابع[3] بنت حنانا التي أصاب داودُ عليه السلام منها ما أصاب .

---

(١) بديء : أول .

(٢) في تفسير القرطبي ١٦٦/١٥ و ١٦٨ (أوريا بن حنان) وعبارته : وكان زوجها أوريا بن حنان في غزوة مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود .

(٣) كذا الأصل وفي « قصص الأنبياء » ص ١٦٥ (سابغ) بالغين المعجمة .

قال مالك :

كان داودُ النبيُّ ﷺ إذا أخذ في قراءة الزبور تفنَّقت العذارى[1] .

قال ابن جُريج :

سألت عطاءً عن القراءة على الغناء ؟ قال : وما بذلك بَأْس ، سمعتُ عُبيد بن عُمير يقول : كان داود نبيُّ الله ﷺ يأخذُ المعزفة فيضربُ بها ويقرأُ عليها ، يُردِّدُ عليه صوته ـ يريد بذلك يُبْكي ويَبكي .

قال أبو موسى الأشعري :

داودُ أوَّلُ من قال : [٥٠ / ب] أما بَعْد . وهو ﴿ فَصْلَ الخِطاب ﴾ .

وعن قتادة

في قوله : ﴿ وآتيناهُ الحكمةَ وفَصْلَ الخِطاب ﴾[2] قال : البيِّنة على المدَّعي ، واليمين على المدَّعى عليه .

وعن شريح :

الأيمان والشهود .

وعن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ

أنَّ داودَ النبيَّ صلى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم أُمِر بالقضاء ، فقُطع به ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أن استحلِفْهم باسْمي وسَلْهم بالبيِّنات . قال : فذاك ﴿ فَصْلَ الخِطاب ﴾ .

وعن ابن عباس

أنَّ رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجلٍ من عظمائهم عند داود فقال : إنَّ هذا غصَبَني بقراً لي ، فسأل داودُ الرجلَ عن ذلك ، فجحده ، فسأل الآخرَ البيِّنة ، فلم يكنْ له بيِّنة ، فقال لهما داود : قوما حتى أنظُرَ في أمركما ، فقاما من عنده . فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ في منامه أنْ يَقتلَ الرجل الذي استُعديَ عليه ؛ فقال : هذه رؤيا ، ولستُ أعجَلُ حتى أتثبَّت ، فأوحى الله إليه في منامه أن يقتلَه ، فلم يفعل : فأوحى الله إليه في الثالثة أن

---

(١) تفنَّقت : تأنقت وتنعمت . (لسان) .

(٢) سورة ص ٢٠/٣٨

يفعلَ أو تأتيَهُ العقوبة . فأرسل داود إليه ، فقال له : إنّ الله أوحى إليّ أن أقتلك ، فقال الرجل : تقتلني بغير بيّنة ؟ ! قال داودُ : نعم ، والله لأنفذنّ أمْرَ الله فيك ، فلمّا عرف الرجل أنه قاتلُه قال : لا تعجَلْ عليّ أخبرْك ، إني والله ماأُخذتُ بهذا الذنب ، ولكني كنت اغتلتُ أبا هذا فقتلته ، فبذلك أُخذت ؛ فأمر به داود فقُتل . فاشتدَّتْ هَيْبَةُ بني إسرائيل لداود عند ذلك ، وشدد به مُلْكَه ؛ وهو قوله : ﴿ وَشَدَدْنا مُلْكَه ﴾[1] .

وعن وَهْب بن مُنَبِّه قال :

لمّا كثُر الشرُّ في بني إسرائيل وشهاداتُ الزُّور أعطى الله داودَ سلسلةً لفصل الخطاب ؛ وكانت سلسلةً من ذهب ، معلقةً من السماء إلى الأرض بحيال الصخرة إلى بيت المقدس ؛ فإذا تشاجر اثنان في شيء قال لهما داود : اذهبا إلى السلسلة ؛ فكان أوْلاهما بالعدل ينالُها وإنْ كان قصيراً . قال : فاستودع رجلٌ رجلاً لؤلؤةً لها خطر ، ثم ابتغاها منه ، فقال له : رددْتُها عليك ؛ فاستعدى عليه ، فانطلق المستعدى عليه فثَقف عصاً فجعل فيها [٥١ / أ] اللُّؤلؤة ثم قبض على العصا وغدا معه إلى داود ؛ فقال داود : اذهبا إلى السلسلة ، فذهبا ، فجاء صاحبُ اللؤلؤة فقال : اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أني استودعتُ هذا لؤلؤةً فلم يردَّها عليّ ، فأسألُكَ أنْ أنالها ؛ فنال السلسلة . وقال الآخر : كما أنت حتى أدعو أنا أيضاً ، أمسكْ عصاي هذه ، فدفعها إليه ، فقال : اللهمَّ إنْ كنتَ تعلم أني دفعتُ إليه لؤلؤتَهُ فأسألك أنْ أنالَها ، فنالها . فقال داود : ماهذا ! ؟ ينالُها الظَّلُوم والمظلوم ؟ ! فأوحى الله إلى داود : أنّ اللؤلؤةَ في العصا ؛ فارتفعتِ السلسلة .

وعن وَهْب

أنّ داود أراد أنْ يعلمَ عِدَّةَ بني إسرائيل كم هم ؟ فبعث لذلك نقباء وعُرَفاء ، وأمرهم أن يدفعوا إليه ما بلغ عددهم ؛ فعَتِب الله عليه ذلك وقال : قد علمتَ أني وعدتُ إبراهيم أنْ أباركَ فيه وفي ذُرِّيّته حتى أجعلَهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلهم لا يُحصى عددُهم ، فأردتَ أنْ تعلمَ عددها ! قلتُ إنّه لا يُحصى عدَدُهم ،فاختاروا بين أن أبتليَكُمْ بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلّط عليهم العدو ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام . فشاور داود بني إسرائيل ، فقالوا : مالنا بالجوع ثلاث سنينَ صبر ، ولا بالعدوّ ثلاثة أشهر ؛ فإن كان لابدّ ، فالموتُ بيده لا بيد

---

(١) سورة ص ٢٠/٣٨

غيره . فذكر وهْب أنّه مات منهم في ساعةٍ من نهار ألوفٌ كثيرة ، لا يُدرى ماعددهم . فلما رأى ذلك داود شقّ عليه ما بلغه من كثرة الموت ، فتبتّل إلى الله ودعاهُ فقال : أيْ ربّ ، أنا آكل الحِماض ، وبنو إسرائيلَ يَضْرَسُون ! أنا طلبتُ ذلك وأمرتُ به بني إسرائيل ؛ فما كان من شيءٍ فَبِي واعفُ عن بني إسرائيل . فاستجاب الله له ، ورفع عنهم الموت . فرأى داودُ الملائكةَ سالّين سيوفَهم ثم يغمدونها وهم يُرفَعونَ في سُلَّمٍ من ذهب ، من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكانٌ ينبغي أنْ نبنيَ لله فيه مسجداً ونكرِّمَه . فأسَّسَ داودُ قواعدَه [٥١ / ب] وأراد أنْ يأخذ في بنائه ، فأوحى الله إليه : إنّ هذا بيتٌ مقدَّس ، وإنك صبغتَ يدَيْك في الدماء ، ولست ببانيه ، ولكنّ ابناً لك أُملِّكُه بعدَك اسمُه سُليمان وأسلمه من الدنيا . فلمّا ملك سليمان بناه وشرَّفه .

قال عبّاد بن شَيْبة :

بلغني أنّ داودَ النبيَّ ﷺ خَلاَ يوماً فقال : يا ربّ ؛ هجَرني الناسُ فيك ، وهجرتُهم لك ؛ فأوحى الله إلى نبيِّه عليه السلام : ألا أدلُّكَ على شيءٍ يستوي فيه وجوه الناس إليك ؟ أنْ تخالط الناسَ بأخلاقهم ، وتحتجز الإيمان فيما بيني وبينك .

وعن كعب قال :

كان داود نبيُّ الله صلّى الله على نبينا وعليه وسلّم يقولُ هؤلاء الكلماتِ ثلاثاً حين يصبح وحين يمسي : اللهمّ ، خلِّصْني من كل مصيبة نزلت الليلة من السماء إلى الأرض ، اللهمّ اجعل لي سهماً في كل حسنةٍ نزلت الليلة من السماء إلى الأرض .

وعن سعيد قال :

كان من دعاء داود : اللهمّ ، لاتكثرْ عليَّ فأطغى ، ولا تُقِلَّ لي فأنسى ؛ فإنّ ماقلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألْهى ؛ اللهمّ ، رزقَ يومٍ بيوم ، فإذا رأيتني أجوز مجالسَ الذاكرين إلى مجالس المتكبِّرين فاكسرْ رِجْلي ، فإنها نعمة منك تمنُّ بها عليّ .

وعن وهب قال :

كان من تَحْميد داود : الحمد لله عددَ قطر المطر ، وورق الشجر ، وتسبيح الملائكة ، وعددَ ما يكون في البرّ والبحر ؛ والحمد لله عددَ أنفاسِ الخَلْق ولفظهم وطَرْفهم وظلالهم ، وعددَ ما عن أيمانهم وعن شمائلهم ، وعددَ ماقهره ملكُه ، ووسعه حفظُه ، وأحاطت به

قدرته ، وأحصاه علْمُه ؛ والحمد لله عددَ ما تجري به الرياح ، ويحمِلُه السحاب ، وعددَ ما يختلفُ به الليلُ والنهار ، وتسير به الشمس والقمر والنجوم ؛ والحمد لله عدد كلّ شيء أدركه بصره ، ونفذ فيه علمه ؛ والحمد لله الذي حَلُمَ في الذنوب عن عقوبتي حتى كان لا ذنْبَ لي ؛ ولم يؤاخذْني ، لم يظلمْني سيدي ، والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي ، وهو ذُخْري في آخرتي ؛ ولو رجوتُ غيرَهُ لا يقطع رجائي [٥٢ / أ] والحمد لله الذي تمسي أبوابُ الملوكِ مغلقةً دوني وبابُه مفتوحٌ لكل ما شئتُ من حاجتي بغير شفيع فيقضيها لي ؛ والحمد لله الذي أخلو به في حاجتي ، وأضعُ عنده سرّي في أيّ ساعةٍ شئت ؛ والحمد لله الذي يتحبَّبُ إليّ وهو غنيٌّ عني .

وعن أبي الجَلْد[1] قال :

قرأتُ في دعاء داود عليه السلام : إلهي إذا ذكرتُ ذنوبي ضاقتْ عليّ الأرض برُحْبِها ، فإذا ذكرتُ رحمتك وَسِعَتْ عليّ ؛ إلهي أنْ أذوقَ مرارةَ الدنيا بحلاوة الآخرة أهونُ عليّ من أنْ أذوق مرارةَ الآخرةِ بحلاوة الدنيا .

وعن مالك بن دينار قال :

بلغنا أنّ داودَ نبيّ الله ﷺ كان يقولُ في دعائه : اللهمّ ، اجعَلْ حُبَّك أحبَّ إليّ من سمعي وبصري ، ومن الماء البارد .

وعن كعب ـ أنّهُ حلف بالذي فلق البحر لموسى عليه السلام ـ

إنّا لنجد في التوراة أنّ داودَ نبيّ الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال : اللهمّ ، أصلحْ ديني الذي جعلتَهُ لي عِصْمةً ، وأصلحْ لي دنياي التي جعلت فيها معاشي ؛ اللهمّ ، أعوذُ برضاك من سَخَطِك ، وأعوذُ بعَفْوك من نقمتك ، وأعوذُ بك منك ؛ اللهمّ لا مانعَ لما أعطَيْت ، ولا معطي لما منَعْتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدّ منك الجَدّ .

وقال كعب :

إنّ صُهَيْباً صاحبَ النبيّ ﷺ حدَّث أنّ محمداً ﷺ كان يقولُهنّ عند انصرافه من صلاته .

---

(١) انظر ص ١١٣ حاشية (١) .

وعن مكحول قال :

كان من دعاء داودَ عليه السلام : يا رازقَ النعّاب في عُشِّه ؛ وذاك أنَّ الغراب إذا فقص عن فراخه فقص عنها بيضاً ، فإذا رآها كذلك نفر عنها ، فتفتحُ أفواهها ، فيرسلُ الله عليها ذباباً يدخلُ في أفواهها ، فيكون ذلك غذاءها حتى تسودّ ، فإذا اسودّت انقطع الذبابُ عنها ، وعاد الغرابُ إليها فغذّاها .

وعن سعيد بن أبي سعيد قال :

كان من دعاء داودَ عليه السلام : اللهمَّ ، إني أعوذُ بك من جارِ السَّوْء ، ومن زَوْجٍ يُشَيِّبُني [٥٢ / ب] قبلَ المشيب ، ومن ولدٍ يكونُ عليَّ وباءً ، ومن مالٍ يكونُ عليَّ عذاباً ، ومن خليلٍ ماكر ، عيناه تريانِي وقلبه يرعاني ، إذا رأى حسنةً دفنها ، وإذا رأى سيئةً أذاعها .

وعن عبّاس العَمّي قال :

بلغني أنَّ داودَ النبيَّ صلّى الله عليه وعلى نبيِّنا وسلَّم كان يقولُ في دعائه : سبحانك اللهمَّ أنت ربِّي ، تعاليتَ فوقَ عرشِك ، وجعلت حسبَتَك على من في السموات والأرض ، فأقربُ خلقك منك منزلةً أشدُّهم لك خَشْية ؛ وما علم مَنْ لم يخشك ، أو ما حِكْمةُ مَنْ لم يطعْ أمرك ؟

وعن صُهَيب أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

اللهمَّ ، إنك لستَ بإلهٍ استحدثناه ، ولا ربٌّ استبدعناه ، ولا كان لنا قبلك من إلهٍ نلجأُ إليه ونذَرُك ؛ ولا أعانك على خَلْقك أحدٌ فنشكُ فيك ، تباركتَ وتعاليت . قال : هكذا كان داودُ عليه السلام يقولُه .

وعن علي الأزْديّ قال :

كان داودُ عليه السلام يقول : اللهمَّ ، إني أعوذُ بك من غنًى يُطْغي ، وفقرٍ يُنْسي ، وهوًى يُرْدي ، وعَمَلٍ يُخْزي .

وعن عبد الكريم بن رُشَيد

أنَّ داودَ عليه السلام قال : أيْ ربِّ ، أين ألقاك ؟ قال : تلقاني عند المنكسرة قلوبُهم .

وفي حديثٍ آخر بمعناه :

عند المنكسرة قلوبُهم من مخافتي .

وعن وَهْب قال :

كان داودُ عليه السلامُ يقولُ في مناجاته : طوبى لمن أرضاك في دار الفناء ، لترضيَهُ في دار البقاء ؛ طوبى لمن ذكرَ ساعةَ موته ، فعمل في ساعة حياته .

زادَ غَيْرُه :

إلهي ، ماأحْلَى ذكرَكَ في أفواه المخلصين ، في بيوت الصادقين الذين يؤمنون بوعدك ، ويعلمون أنَّ مرجعَهُم إلى أمرك يومَ تقتصُّ للمظلومين . إلهي ، اجعلني مِمَّنْ أزْمُرُ لك أيام الحياة ، وأعظِّمُكَ في مجلس الشيوخ .

قال زُهير :

أزمُرُ[1] لك : أنوح لك .

وعن عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

أوحى الله تعالى إلى داود : يا داود ، إنَّ [٥٣ / أ] العبدَ ليأتي بالحسنة يوم القيامة فأحْكُمُه بها في الجنة . قال داود : يا رب ، ومن هذا العبد الذي يأتيك بالحسنة يومَ القيامة فتحكمه بها في الجنة ؟ قال : عبدٌ مؤمنٌ سعى في حاجة أخيه المسلم ، أحبَّ قضاءها ، قُضيَتْ على يديه أو لم تُقْضَ .

وعن كعب بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :

أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ النبيِّ ﷺ : يا داود ، ما من عبدٍ يعتصمُ بي دون خَلْقي ، أعرف ذلك من نيَّته ، فتكيدُهُ السماواتُ بمن فيها إلاَّ جعلتُ له من بين ذلك مخرجاً ؛ وما من عبد يعتصمُ بمخلوقٍ دوني ، أعرف ذلك من نيَّته ، إلاَّ قطعتُ أسبابَ السماء بين يديه ، وأرسختُ الهوى من تحت قدميه ؛ وما من عبدٍ يطيعُني إلاَّ وأنا معطيه قبلَ أنْ يسألَني ، وغافرٌ له قبلَ أنْ يستغفرَني .

---

(١) كذا في الأصل ، بضم الميم في الموضعين .

وعن صالح المُرّيّ قال :

أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود : يا داود ، اسمعْ مني ، الحق أقولُ لك : إنه من ذكر ذنوبه في الخلاء ، فاستحيا عند ذكرها ، ستَرْتُها عن الحَفَظةِ وغفرتُها له ؛ يا داود ، اسمعْ مني ، الحق أقول لك : إنه من عمل من الذنوب حَشْوَ الأرض من شرقها إلى غربها ، ثم ندم عليها حَلْبَ شاة سترتُها عن الحَفَظةِ وغفرتُها له ؛ يا داود ، اسمعْ مني ، الحق أقولُ لك : إنه من عمل حسنةً واحدةً أدخله جنتي . قال له داود : إلهي ، وما تلك الحسنة ؟ قال : يكشفُ عن مكروبٍ كرباً ولو بشِقِّ تمرة .

قال أبو سُليمانَ الدارانيّ :

شهدتُ مع أبي الأشهب جنازةً بعبَّادَان[1] ، فسمعته يقول : أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه السلام : يا داود ، حذِّرْ وأنذِرْ أصحابك أكْلَ الشهوات ، فإنَّ القلوب المتعلِّقة بشهوات الدنيا ، عقولها محجوبة عني .

قال أبو جعفر البصري :

أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه السلام : تزعمُ أنك تحبُّني ، فأخرِجْ حُبَّ الدنيا من قلبك ، فإنَّ حُبّي وحُبَّها لا يجتمعانِ في قلب واحد .

[٥٣ / ب] قال أبو الحسين البصري :

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داودَ عليه السلام : تزعمُ أنك تحبُّني وتدَّعي عشقي ، وتسيءُ بي الظنَّ صباحاً ومساءً . أما كانت لك عِبْرَةٌ أنْ شققتُ سبعَ أرضين ، فأريتُك ذَرَّة في فيها بُرَّة لم أنسها ؛ أما إني لولا أني أحفظُ منك خصالاً لحرَّقتك بالنيران .

وعن صالح المُرّي قال : قال داود عليه السلام :

يا ربِّ ، دُلَّني على عملٍ يدخلني الجنة . قال : آثِرْ هوايَ على هواك .

وعن شدّاد أبي عمّار قال : قال داود عليه السلام :

يا ربِّ ، دُلَّني على عملٍ يُدخلُني الجنة . قال : اعمَلْ بعمل الأبرار ، ولا تبسمْ في وجوه الفُجّار .

---

(١) عبادان : موضع تحت البصرة قرب البحر الملح (معجم البلدان) تقع إلى الجنوب الشرقي من البصرة (أطلس) .

وعن أبي الجَلْد قال :

أوحى الله إلى داود عليه السلام : إنَّ عبدي المؤمن إذا لقيني وهو مستحيٍ من معاصي ، غفرتُها له ، وأُنسيها حفَظَته .

وعن مجاهد قال :

أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه السلام : يا داود ، اتَّقِ الله ، لا يأخذك على ذنبٍ لا ينظرُ إليك فيه أبداً ، فتلقاه حين تلقاه ولا حُجَّة لك .

وعن أبي الأشهب قال :

أوحى الله إلى داود : إنَّ أهونَ ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوةً من شهواته عليّ أن أحرمه طاعتي .

قال بشر :

أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود عليه السلام ، يا داود ، إنما خلقتُ الشهواتِ واللذاتِ لضعفاء عبادي ؛ فأمَّا الأبطال ، فما لهم وللشهوات واللذات ؛ يا داود ، لا تعلَّقنَّ قلبَك منها بشيء ، فأدنى ما أعاقبك به أنْ أنسخ حلاوة حُبّي من قلبك .

وعن أبي علي قال :

أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه السلام : أنينُ المذنبين أحبُّ إليَّ من صُراخ الصدّيقين .

وعن أبي مطيع معاوية بن يحيى قال :

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود : أن اتَّخِذْ نعلين من حديد ، وعصاً من حديد ؛ واطلب العلم حتى تنكسرَ العصا وتنخرقَ النعلان .

وفي رواية :

قُلْ لطالب العلم يتخذ عصاً من حديد ـ بمثله .

[٥٤ / أ] وعن أبي عمرانَ المصري قال :

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داودَ عليه السلام : يا داود ، لا تجعلن بيني وبينك عالِماً

أسكنتُ قلبه حبَّ الدنيا ؛ أولئك القُطَّاع على عبادي ؛ إنَّ أدنى ما أعاقبهم أنْ أنزع حلاوة مناجاتي من أصول قلوبهم .

وفي حديث آخر بمثله :

لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً فيصدُّك بسُكْره عن طريق محبتي .

وعن عبد العزيز بن عُمر قال :

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود ، إذا رأيتَ لي طالباً فكُنْ له خادماً ؛ ياداودُ ، اصبرْ على المَؤُونة تأتك المَعُونة[1] .

وعن أبي عبد الله الجَدَلي قال :

قال الله عزَّ وجلَّ : ياداود ، أحِبَّني وأحبَّ مَنْ يُحبُّني ، وحبِّبْني إلى الناس ؛ قال : ربِّ ، أحبُّك وأحبُّ من يحبُّك ، فكيف أُحَبِّبُك إلى الناس ؟ ! قال : تذكِّرهم آلائي فلا يذكرون مني إلا حسَناً .

وعن شُمَيْط بن عجلان قال :

بلغنا أنَّ الله أوحى إلى داودَ فقال : ياداود ألا ترى إلى المنافق يخادعني وأنا أخدعه ! يستحيي ويوقِّرني بلسانه وقلبُه مني بعيد ؛ ياداود ، قُلْ للملأ من بني إسرائيل : لا يَدْعوني والخطايا في أرقابهم ، ليلقوها ثم يدعوني فأستجيبَ لهم .

قال وهْبُ بن مُنَبِّه :

قرأتُ في مزامير داودَ صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم : ياداود ، هل تدري مَنْ أغفرُ له من عبادي ؟ الذي إذا أذنب ذنباً ارتعدتْ لذلك مفاصلُه وأعضاؤه ، فذاك الذي آمُر ملائكتي أنْ لا تكتبَ عليه ذلك الذنب .

سأل رجلٌ وهْبَ بن منبِّه في مسجد الحرام ، فقال : حدِّثْني رحمك الله عن زَبُور داود ؟ قال : وجدت في آخره ثلاثين سطراً : ياداود ، اسمعْ مني والحقّ أقول : من لقيني وهو يُحِبُّني أدخلتُهُ جنَّتي ؛ ياداود ، اسمعْ مني والحق أقول : مَنْ لَقِيَني وهو يخاف عذابي لم

---

(١) المؤونة : من الأين ، وهو التعب والشدة . (لسان) .

أعذبْه ؛ ياداود ، اسمعْ مني والحقّ أقول : من لقيني وهو مستحيٍ من معاصيَّ أنسَيْتُ حفَظَتَهُ ذنوبَه ؛ ياداود ، اسمعْ مني فالحقّ أقول : لو أنَّ عبداً من عبادي عمل حَشْوَ الدنيا ذنوباً ، ثم ندِمَ حَلْبَ شاةٍ [٥٤ / ب] فاستغفرَني مرَّةً واحدة ، فعلمت من قلبه أنه لا يريد أنْ يعودَ إليها ألقَيْتُها عنه أسرعَ من هَبْط المطر إلى الأرض ؛ ياداود ، اسمعْ مني والحقّ أقول : لو أنَّ عبداً من عبادي أتاني بحسنةٍ واحدة حكمته في جنتي ـ قال داود عليه السلام : الهي ، من أجل ذلك لا يَحِلُّ لمن عرفك أنْ يقطعَ رجاءَهُ منك ـ ياداود ، إنما يكفي أوليائي اليسير من العمل كما يكفي الطعام من الملح ؛ هل تدري ياداودُ متى أتولاّهم ؟ إذا طهَّروا قلوبهم من الشِّرْك ، ونزعوا من قلوبهم الشك ؛ علموا أنَّ لي جنةً وناراً ، وأنا أُحْيي وأميت ، وأبعث من في القبور ، ولم أتخذْ صاحبةً ولا ولدا ؛ فإن توفيتهم بيسيرٍ من العمل وهم يوقنون بذلك جعلتُه عظيماً . هل تدري ياداودُ مَنْ أسرعُ الناس مرّاً على الصراط ؟ الذين يرضَوْنَ بحكمي وألسنتهم رطبةٌ من ذكري ؛ هل تدري ياداودُ أيُّ المؤمنين أحبُّ إليّ ؟ الذي إذا قال لا إله إلاّ الله اقشعرَّ جلدُه ؛ إني أكرهُ له الموتَ كما يكرهُ الوالدُ لولدِهِ ولا بدَّ له منه . إني أريد أن أسرَّه في دارٍ سوى هذه ، فإنَّ نعيَها فيها بلاء ، ورخاءها فيها شدَّة ؛ فيها عدوٌّ لا يألونهم فيها خَبَالاً . من أجل ذلك عجلتُ أوليائي إلى الجنة ، لولا ذلك ما مات آدمُ وولده حتى يُنفَخَ في الصور . ياداود ، ماتقولُ في نفسك ؟ تقول قطعت عنهم عبادتهم ، أما تعلم ما أثيبُ عبديَ المؤمنَ على عثرةٍ يعثُرها ؟ فكيف إذا ذاق الموت وهو من أعظم المصيبات ، وهو بين أطباق التراب ؛ إنما أحبسُه طولَ ما أحبسُه لأُعظمَ له الأجر ، وأجزي عمله أحسنَ ما كان يعمل إلى يوم القيامة ؛ من أجل ذلك سمَّيْتُ نفسي أرحم الراحمين .

وعن ابن عباس ، قال :

أوحى الله إلى داود : ياداود ، قل للظلمة لا يذكروني ، فإنَّ حقاً عليَّ أنْ مَنْ ذكرني أذكره ، وإنَّ ذِكْري إياهم أنْ ألْعَنهم .

وعن وَهْب بن منبّه وزَيْد بن رُقَيع ، قال :

رأى داودُ النبيُّ صلّى الله على نبيِّنا وعليه [وسلّم] منجلاً من نار يهوي من السماء إلى الأرض فقال [٥٥ / أ] : إلهي وسيِّدي ؛ ما هذا ؟ قال : هذه لعنتي أُدخلُها بيتَ كلِّ ظلاّم .

وعن أبي ذرٍّ عن النبيِّ ﷺ أنّ داودَ عليه السلام قال :

إلهي ، ماحقُّ عبادك عليك إذا هُم زاروك - وفي رواية : إذا هم زاروك في بيتك - فإنَّ لكلِّ زائرٍ على المَزُور حقاً ؟ قال : ياداود ، فإنَّ لهم عليَّ أنْ أعافيَهُم في دنياهم ، وأغفرَ لهم إذا لقيتهم .

قال أبو الجَلْد :

قرأتُ في مسألة داودَ ربَّه : إلهي ، ما جزاءُ من بكى من خشيتك حتى تسيلَ دموعُه على وجهه ؟ قال : جزاؤه أن أحرِّمَ وجهَهُ على لَفْحِ النار ، وأنْ أُؤَمِّنَهُ يومَ الفَزَع .

وعن فَضالة بن عُبيد

أنَّ داودَ سأل ربَّه أنْ يخبرَه بأحبِّ الأعمال إليه ؟ فقال : عشرٌ إذا فعلتَهن ياداود : لاتذكرَنَّ أحداً من خلقي إلاَّ بخَيْر ، ولا تغتابنَّ أحداً من خلقي ، ولا تحسدَنَّ أحداً من خلقي . قال داود : ياربِّ ، هؤلاء الثلاث لاأستطيع ، فأمسك عن السبع ، ولكنْ ياربِّ ، أخبرني بأحبابك من خلقك أحبِّهم لك ؟ قال : ذو سلطان يرحم الناس ، ويحكم للناس كما يحكم لنفسه ؛ ورجلٌ آتاهُ الله عزَّ وجلَّ مالاً فهو ينفق منه ابتغاء وجه الله ، وفي طاعة الله ، ورجلٌ يُفْني شبابه وقوَّتَه في طاعة الله ؛ ورجلٌ كان قلبُه معلقاً في المساجد من حبِّه إيَّاها ؛ ورجلٌ لقيَ امرأة حسناء ، فأمكنَتْهُ من نفسها فتركها من خشيةِ الله ؛ ورجلٌ - حيث كان - يعلمُ أنَّ الله معه ، نقيَّةً قلوبُهم ، طيِّبٌ كسْبُهم ، يتحابُّون بجلالي ، أُذكَرُ بهم ويُذكرونَ بذكري ؛ ورجلٌ فاضَتْ عيناهُ من خشية الله عزَّ وجلَّ .

وعن وهب بن مُنَبِّه قال :

قال داوُد عليه السلام : أيْ ربِّ ، أيُّ عبادك أحبُّ إليك ؟ قال : مؤمنٌ حسنُ الصورة ؛ قال : فأيُّ عبادك أغضبُ إليك ؟ قال : كافرٌ حسن الصورة ، شكَر هذا وكفَر هذا .

قال أبو محمد الهَرَويّ :

مكتوبٌ في زَبُور داودَ عليه السلام : من بلغ السبعين اشتكى من غير عِلَّة .

وعن عبد الله بن مسعود ، عن النبيِّ ﷺ قال :

إنَّ داودَ عليه الصلاةُ والسلام قال : إلهي ؛ ماجزاءُ من شيَّع [٥٥ / ب] ميتاً إلى قبره

ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه أشيِّعُهُ[1] ملائكتي فتصلّي على روحه في الأرواح . قال : اللهمّ ، فما جزاءُ من يعزّي حزيناً ابتغاء مرضاتك ؟ قال : أن أُلبسَهُ لباسَ التقوى وأستُره به من النار فأدخله الجنّة . قال : اللهمّ ، ماجزاءُ من عال يتيماً أو أرملةً ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه أنْ أُظلّه يومَ لا ظلَّ إلاّ ظلّي . قال : اللهمّ ، فما جزاءُ من سالت دموعُه على وجنتَيْه من مخافتك ؟ قال : أنْ أقيَ وَجْهَه لَفْحَ جهنّم ، وأؤمّنَهُ يوم الفزَعِ الأكبر .

وعن ابن عباس أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

إنّ داودَ عليه السلام قال فيما خاطب ربّه عزّ وجلّ : يا ربّ ، أيُّ عبادك أحبُّ إليك أحبُّه بحبّك ؟ قال : يا داود ، أحبُّ عبادي إليّ نقيُّ القلب ، نقيُّ الكفّيْن ، لا يأتي إلى أحد سوءاً ، ولا يمشي بالنميمة ، تزولُ الجبالُ ولا يزول ، أحبّني وأحبَّ من يُحبّني وحبّبني إلى عبادي ؛ قال : يا ربّ ، إنك لتعلمُ أني أحبُّك وأحبُّ مَنْ يحبُّك ، فكيف أحبّبُكَ إلى عبادك ؟ قال : ذكّرْهم بآلائي ، وبلائي ونعمائي ؛ يا داود ، إنه ليس من عبدٍ يُعينُ مظلوماً ، أو يمشي معه في مَظْلَمته إلاّ أثبتَ قدمَيْه يومَ تزولُ الأقدام .

وعن أسلم قال :

مكتوبٌ في حكمة آلِ داود : العافيةُ المُلْكُ الخفيّ .

وعن أبي أيّوب القرشي مولى بني هاشم قال :

قال داودُ عليه السلام : ربّ ، أخبرْني ماأدنى نعمتك عليّ ؟ فأوحى إليه : يا داود ، تنفّسْ ، فتنفّسَ ؛ فقال : هذا أدنى نعمتي عليك .

وعن وَهب بن مُنَبّه قال :

إنّ في حكمة آلِ داود : حقٌّ على العاقل أنْ لا يغفلَ عن أربع ساعات : ساعةٍ يناجي فيها ربّه ؛ وساعةٍ يحاسبُ فيها نفسه ، وساعةٍ يقضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه ؛ وساعةٍ يخلّي فيها بين نفسه وبين لذّاتِها فيما يَحِلُّ ويُحْمَد ، فإنّ هذه الساعة عَوْنٌ على هذه الساعات وإجمامٌ للقلوب . وحقٌّ على العاقل أنْ يعرفَ زمانَه ، ويحفظَ لسانَه ، ويُقبلَ على شأنه . وحقٌّ على العاقل أنْ لا يظعَنَ إلاّ في إحدى ثلاث [٥٦ / أ] : زادٍ لمعاده ؛ ومَرَمّةٍ لمعاشه ؛ ولذّةٍ في غير مُحَرَّم .

---

(١) كذا الأصل وفي « الدر المنثور » ٢٠٧/٥ عن مسند أحمد : (أن تشيعه) .

وعن مالك بن دينار قال :

قال داودُ عليه السلام لبنيه : معشرَ الأبناء ؛ تعالَوْا حتى أعلِّمكم خشيةَ الله : أيُّما عبدٍ منكم أحبَّ أنْ يُحِبَّني ويرى الأيام الصالحة فلْيحفظْ عينيه أنْ ينظر إلى السوء ، ولسانَهُ أنْ ينطقَ بالإفْك ، عينُ الله إلى الصدِّيقين وهو يسمع لهم .

قال عبد الله بن حبيب :

قال داودُ النبيُّ صلَّى الله على نبينا وعليه وسلَّم : رُبَّ كلامٍ ندِمْتُ عليه ، وما ندِمْتُ على صَمْتٍ قطّ .

وعن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ قال :

قال داودُ عليه السلام : يا زارعَ السيِّئاتِ ، أنت تحصدُ شوكها وحَسَكها .

وعن عبد الرحمن بن أبزَى قال :

كان داودُ عليه السلام يقول : كُنْ لليتيم كالأب الرحيم ، واعلَمْ أنك كما تزرعُ كذلك تحصد ؛ وإنَّ الخطيبَ الأحمق في نادي القوم كالمغنِّي عند الميت ؛ ولا تَعِدْ أخاك ثم لا تنجزْ له ، فتورِّث بينكما العداوة . وإنَّ المرأة السَّوْء عند الرجل كالشيخ الكبير على ظهره الحِمْلُ الثقيل ، والمرأة الصالحة عند الرجل كالملك الشاب على رأسه التاجُ المُخوَّصُ بالذهب[1] . وسلِ الله عزَّ وجلَّ صاحباً إنْ ذكرتَ أعانك . ما أقبح الفقر بعد الغنى ! وأقبحُ من ذلك الكفر بعد التُّقى .

وفي رواية :

وأقبحُ من ذلك الضلالةُ بعد الهدى .

وفي رواية :

ونعوذُ بالله من صاحبٍ إذا ذكرْتَ لم يُعِنْك ، وإذا نسيتَ لم يذكِّرْك .

سُئل داودُ النبيُّ ﷺ : أيُّ شيءٍ أحلى ، وأيُّ شيءٍ أبرد ، وأيُّ شيءٍ أحسن ، وأيُّ شيءٍ أقبح ، وأيُّ شيءٍ أعون ، وأيُّ شيءٍ أعدى ؟ فقال : أحلى شيءٍ روحُ الله بين عباده ، وأبردُ

---

(١) تخويص التاج : مأخوذ من خوص النخل ، يجعل له صفائح من الذهب على قدر عرض الخوص . (لسان) .

شيءٍ عَفْوُ الله عن العباد وعَفْوَ العباد بعضهم عن بعض ، وأحسَنُ شيءٍ السكينةُ مع الإيمان ، وأقبح شيءٍ الكفر بعد إيمان ، وأعونُ شيءٍ ذكر الله ، وأعدى شيءٍ زوج سَوْء وعشيرة سَوْء .

وعن ابن المبارك قال :

قال داود لابنه : يا بُنيّ ، أستدلُّ على تقوى الرجل بثلاثة أشياء : بحُسْنِ توكُّلِه على الله فيما نابَه ؛ وبحُسْن رضاهُ فيما آتاه ؛ وبحسنِ صَبْره فيما فاته .

[٥٦ / ب] **وعن عروة قال :**

مكتوبٌ في الحكمة : يا داود ، إياك وشدَّةَ الغضب ، فإنَّ شدَّة الغضب مفسدةٌ لفؤاد الحكيم .

وعن خالد بن أبي عمران

أنَّ داودَ النبيَّ صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم كان يقول : لاتُفشينَّ إلى امرأةٍ سرّاً ، ولا تطرُقنَّ أهلك ليلاً ، ولا تأمننَّ ذا سلطان وإن كنت ذا قرابة .

وعن عُبيد بن عُمير قال :

بلغني أنَّ داودَ النبي صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم كان يقول : اللهمَّ لا تجعلْ لي أهلَ سَوْء فأكون رجلَ سَوْء .

قال سعيد الحاني ـ قرية بالجزيرة[1] ـ :

بينا داودُ النبيُّ صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم على باب منزله جالساً ، ومعه جليسٌ من بني إسرائيل يحدِّثه ؛ إذْ مرَّ به رجل ، فأسمعَهُ واستطال عليه ، فغضب له جليسُه ، فقال داودُ : دَعْه ، فإني قد علمتُ من أين أُتيت ؛ إني قد أحدثتُ فيما بيني وبين ربي ، فهو سلَّط هذا عليّ ، فدعني حتى أدخل فأتنصَّل إلى ربي من الحدَث الذي كان مني ، حتى يعودَ هذا فيقبِّلَ أسفلَ قدمي . قال : فدخل داود ، فتوضَّأ وصلَّى ركعتين وتنصَّلَ إلى ربه من الحدث الذي كان منه ، وعاد إلى جليسه ، وعاد الرجل من حاجته نادماً ، فانكبَّ فقبَّل أسفل قدم داود . قال : يا نبيَّ الله ، اغفرْ لي ، قال : اذهَبْ فإني قد علمتُ من أين أُتيت .

وعن عبد الرحمن بن أبزى قال :

كان داود يقول : انظُرْ ماتكرَهُ أنْ يُذْكَر منك في نادي القوم ، فلا تفعلْهُ إذا خلَوْت .

---

(١) حاني : بوزن قاضي ، مدينة معروفة بديار بكر (إلى الشمال من سورية) انظر معجم البلدان و « بلدان الخلافة الشرقية » خريطة ٣ ص ١١٤

قال يحيى بن أبي كثير :

قال داودُ النبيُّ ﷺ لابنه سليمان : يا بني ، أتدري ما جَهْد البلاء ؟ قال : لا ، قال : شراءُ الخبز من السوق ، والانتقالُ من منزلٍ إلى منزل .

وعن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال :

قال داودُ النبيُّ صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم : إدخالك يدك في فم التِّنِّين إلى أنْ تبلغَ المرفق فيقضمها خَيْرٌ لك من أنْ تسأل من لم يكن له شيءٌ ثم كان .

قال الكلبيّ :

لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة كان في الطعام قِلَّة ، وكان يتزوَّجُ النساء ، قال : فقالت اليهود : إنَّ هذا الذي يزعم أنه نبيٌّ ليس يشبَعُ من الطعام [٥٧ / أ] وهو يتزوَّج ، فليس له همٌّ إلاَّ النساء ! لو كان نبيّاً لاشتغل بنبوَّته عن النساء . فأنزل الله عزَّ وجلّ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عظيماً ﴾[1] قال : تزوَّج داود مئةَ امرأة ، وتزوَّج سليمانُ سبع مئة امرأة وثلاث مئة سُرِّيَّة ؛ فذلك قوله : ﴿ وآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ .

وفي حديثٍ آخر .

وكان أشدَّهم في ذلك حُيَيُّ بنُ أخطب ، فأكذبَهم الله ، وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيِّه صلوات الله عليه وبركاته فقال : ﴿ أَمْ يَحْسُدونَ الناسَ عَلَى ماآتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ يعني بالناس رسولَ الله ﷺ ﴿ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبراهِيمَ الكتابَ والحِكْمَةَ وآتيناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ ماآتى الله سليمان بن داود ، كانت له ألفُ امرأة ، سبعُ مئةِ مَهيرة[2] ، وثلاث مئة سُرِّيَّة ؛ وكانت لداود مئةُ امرأة ، منهنَّ امرأة أوريا أمّ سليمان بن داود التي تزوَّجها بعد الفتنة ؛ فهذا أكثر مما لمحمدٍ ﷺ .

وعن ابن عباس قال :

ماأصاب داود ماأصابه بعد القدَر إلاَّ من عُجْبٍ عجِبَ به من نفسه ، وذلك أنه قال :

---

(١) سورة النساء ٥٤/٤

(٢) المهيرة : غالية المهر . (لسان) .

يا رب ، مامن ساعةٍ من ليلٍ أو نهار إلاّ وعابدٌ من آلِ داودَ يعبدُك ، يصلي لك أو يسبّحُ أو يكبّر .. وذكر أشياء ، فكره الله تعالى ذلك فقال الله : يا داود ، إنّ ذلك لم يكُنْ إلاّ بي ، فلولا عوني ماقويتَ عليه ؛ وجلالي لأكِلَنّكَ إلى نفسك يوماً ؛ قال : يا رب ، فأخبِرْني به . فأصابته الفتنة ذلك اليوم .

قال بعض المشايخ :

رُبَّ نَظْرةٍ لأنْ يُلْقى فيها الرجل للأسْد فتأكله ، خيرٌ له ؛ وهل لقي داودُ ما لقي إلاّ في نظرة .

وعن رسولِ الله ﷺ :

أنه ورد عليه وَفْدُ عَبْدِ القيس ، وفيهم غلامٌ وضيءُ الوجه ، فأقعدَهُ وراء ظهره وقال : إنما أُتِيَ أخي داودُ عليه السلام من النظر .

وعن الحسَن قال : قال داود :

يارب ، ابتلَيْتَ مَنْ كان قبلي فأثنَيْتَ عليهم بصبرهم ، ولم تَبْتَلِني ببلاءٍ تُثْني عليَّ مِنْ بعدي ؛ فأوحى الله إليه : يا داود ، اختَرْتَ البلاءَ على العافية ، فخُذْ حِذْرَك ، فإني [٥٧ / ب] أبتليكَ في شهرك هذا ؛ وكان في رجب يوم الاثنين بعد العصر في ثلاث عشرة مضَيْنَ من الشهر . قال : فلمّا كان ذلك اليوم دخل المحراب واستعدّ للبلاء ؛ فبينا هو في محرابه منكبٌّ على الزَّبُور يقرؤها إذْ دخل طائرٌ من الكَوّة فوقع بين يديه ، جسَدُه من ذهب ، وجناحاه من ديباج ، مُكَلَّلٌ بالدُّرّ ، ومنقارُه زَبَرْجَد ، وقوائمُهُ فَيْرُوزَج ؛ فدنا منه ثم طار فوقع بين يديه ، فنظر إليه يحسبُ أنه من طير الجنّة ؛ فجعل يتعجّبُ من حسنه ـ وله ابنٌ صغير ـ فقال : لو أخذتُ هذا الطير فنظر إليه ابني ؛ فأهوى يريدُ أنْ يتناولَ الطير ، فتباعد الطيرُ منه ، ويُطمعُه أحياناً ثم يفرُّ ، حتى كأنه يريدُ أن يضع يده عليه فيتباعد منه أيضاً ؛ فما زال كذلك يدنو ويتباعد حتى قام من مجلسه وأطبق الزَّبُور ونسي البلاء ؛ فطلبه في زوايا البيت ، فوقع في الكَوّة ، وطلبه في الكوّة فرمى بنفسه في بستان أوريا ، وكان في أصل المحراب حوض يغتسل فيه حَيْضُ بني إسرائيل ، فاطّلعَ داود فإذا بامرأةٍ تغتسل ؛ فأبصرَتْ ظِلَّه ، فنشرت شعرها فجلّلَتْ جسدَها كلَّه ، فزاده ذلك إعجاباً ، فرجع مكانه وفي نفسه منها ما في نفسه ، فبعث إليها لينظر من هي ، وابنةُ مَنْ هي ؟

فرجع إليه الرسولُ فقال : هي سابع بنت حنانا ، وزوجها أوريا بن صورى[1] ، وهو في البلقاء مع ابن أخت داود وهو على الجيش محاصرين قلعةً ؛ فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً : إذا جاءك كتابي هذا فَمُرْ أوريا بن صورى فَلْيَحْمِلِ التابوت ، وليتقدَّمْ أمام الجيش ، فإمَّا أنْ يفتح الحصن ، وإما أن يُقتل ـ وكان مَنْ فرَّ منهم صار لعيناً ، وكان في سُنَّتهم أن يتقدَّم أمام التابوت من كُلِّ سبط في كل عامٍ رجلٌ ، يكونُ ذلك نوائبَ بينهم ، وكان الذي يتقدَّم لا يرجعُ حتى يقتلَ أو يفتحَ الله عليه ـ فدعا صاحبُ الجيش أوريا فقرأ عليه الكتاب ؛ فقال أوريا : سمعٌ وطاعة ، فحمل التابوت فتقدم أمامَ أصحابه ، فخرجت إليه المقاتلة ، فقاتلهم ـ وكان [٥٨ / أ] من فرسان بني إسرائيل ـ فقتل المقاتلة وفتح الحصن . فبعث صاحبُ الجيش إلى داود بالفتح ؛ فكتب إليه أنْ قدِّمْهُ في قلعةٍ أخرى كانت أحصنَ وأشدَّ شوكةً من الأولى ؛ فقرأ عليه الكتاب ؛ فقال : سمعٌ وطاعة ؛ فحمل التابوت وسار إلى الحصن ، وتقدَّم أمامَ أصحابه ، فخرجت المقاتلة فقتلهم وفتح الحصن ؛ فبعث صاحبُ الجيش بالفتح إلى داود ؛ فكتب إليه الثالثةَ أنْ قدِّمْه ؛ فلما ورد الكتاب عليه قرأه عليه قال : قد علمتُ ما يريد ، فحمل التابوتَ وسار أمام أصحابه ، فخرجت إليه المقاتلة ، فكان أوَّل قتيل ، فكتب ابنُ أخت داودَ بذلك إلى داود ، فلما انقضَتْ عِدَّةُ المرأة أرسل إليها يخطبها ، فتزوَّجَها .

وفي حديثٍ آخر عن ابن عباس بمعناه :

فلما انقضَتْ عِدَّتُها خطبها ، فاشترطَتْ عليه إنْ ولَدت غلاماً جعله خليفتَهُ من بعده ، وأشهدت على ذلك خمسين رجلاً من بني إسرائيل ، وكتبَتْ عليه كتاباً ؛ فما شعر بنفسه حتى ولد سليمان بن داودَ عليه السلام ، وتسوَّر عليه الملكانِ في المحراب ، وخرَّ داودُ ساجداً .

وفي حديثٍ آخر عن أنس بن مالك ، يرفعه إلى النبيِّ ﷺ :

فقتل زوج المرأة ، ونزل الملكان على داود يقصَّانِ عليه قصَّته ؛ ففَطِنَ داودُ ، فسجدَ فمكثَ أربعين ليلةً ساجداً حتى نبت الزَّرْعُ من دموعه على رأسه ، وأكلتِ الأرض جبينه ؛ يقولُ في سجوده من كلمات : زلَّ داودُ زَلَّةً أبعد ما بين المشرق والمغرب ، ربِّ ؛ إن لم ترحَمْ

---

(١) انظر ص ١١٤ حاشية (٢) و (٣) .

ضعفَ داودَ وتغفرُ ذنبَه جعلت ذنبه حديثاً في الخُلُوف[1] من بعده ؛ فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة ، فقال له : يا داود ؛ قد غفر الله لك الهمَّ الذي همتَ ، قال داود : قد علمتُ أنَّ الله قادرٌ أن يغفر لي الهمَّ الذي همتُ به ، وقد علمتُ أنَّ الله عَدْلٌ لا يميل ، فكيف بفلانٍ إذا جاء يوم القيامة فقال : يا رب دمي الذي عند داود ؟ فقال جبريل : ما سألتُ ربي عن ذلك ، ولئن شئتَ لأفعلَنّ ، قال : نعم ؛ فعرج جبريل ، فسجد داود ، فمكث ما شاء الله ثم نزل ، فقال قد سألتُ [٥٨ / ب] الله عزَّ وجلَّ يا داود عن الذي أرسلتني إليه فقال : قُلْ لداود إنَّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول : هَبْ لي دَمَكَ الذي عند داود ، فيقول : هو لك يارب ، فيقول : فإنَّ لك في الجنَّة ما اشتهَيْتَ وما شئت عِوَضاً .

قال ثابت :

كان داود نبيُّ الله صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم يذكر ذنوبَه ، فيخافُ اللهَ عزَّ وجلَّ منها خوفاً تنفرج أعضاؤه من مواضعها ، ثم يذكرُ عائدة الله تبارك وتعالى ورأفتَهُ على أهل الذنوب فيرجع كلُّ عضوٍ إلى مكانه .

قال أبو سليمان :

ما عمل داودُ عليه السلامُ عملاً قطُّ كان أنفعَ لَهُ من خطيئته ؛ مازال منها خائفاً هارباً حتى لحق بربّه .

قال صفوانُ بن مُحرز :

كان داود ينادي في جوف الليل : أوَّهْ من عذاب الله ، أوَّهْ مِن قبل أنْ لا تنفعَ أوَّه .

قال وهب بن مُنَبِّه :

لمَّا أصاب داودُ الخطيئةَ اعتزل فرش المُلْك ، ثم بكى حتى رَعِش وحتى خدَّت الدموع في خدِّه .

وفي رواية :

اعتزل النساء ولزم العبادة حتى سقط ، ثم بكى حتى خدَّت الدموعُ وجهه .

---

(١) الخلوف : جمع خَلْف ، ومعناه القرن من الناس . (لسان) .

وفي حديثٍ عن مجاهد :

أنَّ داودَ عليه السلام مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفعُ رأسَهُ حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطَّى رأسه ؛ فنودي : ياداود ، أجائعٌ فَتُطْعَم ، أم ظمآنُ فتُسْقى ، أم عارٍ فتُكْسَى ؟ قال : فأُجيب في غير ما طَلب ، فنَحَب نحبةً هاجَ العُودُ فاحترق من حرِّ جوفه ؛ ثم أنزل الله التوبة والمغفرة ؛ فقال : ربِّ اجعَلْ خطيئتي في كفِّي ؛ فكان لا يبسطُ كفَّهُ لطعامٍ ولا لشراب ولا لشيء سوى ذلك إلاَّ رآها قابلَتْه ؛ قال : فإنْ كان ليُؤْتى بالقدَح ثلثاهُ ماء ، فإذا تناوله أبصر خطيئتَه ، فما يضَعُه على شفتيه حتى يفيض من دموعه .

قال ابن سابط :

لو عُدل بكاءُ داودَ ببكاء الخَلْق لكان بكاءُ داودَ أكثرَ منه ، ولو عُدِل بكاءُ آدمَ ببكاء داودَ وببكاء الخَلْق لكان بكاءُ آدمَ أكثرَ منه .

قال ثابت :

اتخذ داودُ عليه السلام سبعَ حشايا من شعر ، ثم حشاهُنَّ بالرماد ، ثم بكى حتى أنفذهنَّ بدموع عينَيْه .

[٥٩ / أ] وعن الحسن قال :

لما أصاب داودَ الخطيئة خرَّ ساجداً أربعين ليلةً ، فقيل له : يا داود ، ارفَعْ رأسكَ فقد غفرتُ لك ، قال : يارب ، أنت حَكَمٌ عَدْل ، لا تظلم ، وقد قتلتُ الرجل ؛ قال : أستوهبك ، فيَهبُك لي ، وأُثيبُهُ الجنَّة .

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّه :

ما رفع رأسَهُ حتى قال له الملك : أوَّلُ أمْرِك ذَنْب ، وآخرهُ معصية ، ارفَعْ رأسَك ، فرفع رأسه ، فمكث حياتَه لا يشربُ ماءً إلاَّ مزجَهُ بدموعه ، ولا يأكلُ طعاماً إلاَّ بلَّه بدموعه ، ولا يضطجعُ على فراشٍ إلاَّ غرَّاهُ بدموعه حتى انهزم ؛ فكان لا يُدْفِئُهُ لحاف .

وكان داودُ بعدَ الخطيئةِ لا يجالسُ إلاَّ الخاطئين ، ثم يقول : تعالَوْا إلى داودَ الخاطئ ؛ ولا يشربُ شراباً إلاَّ مزجه بدموع عينيه ؛ وكان يجعلُ له خبز الشعير اليابس في قصعة ، فلا يزالُ يبكي عليه حتى يبتلَّ بدموع عينيه ؛ وكان يذرُّ عليه الملح والرماد ويأكلُ ويقول : هذا

أكلُ الخاطئين . وكان داودُ قبلَ الخطيئة يقوم نصفَ الليل ويصومُ نصفَ الدَّهْر ؛ فلما كان من خطيئتهِ ما كان صام الدهر كُلَّه ، وقام الليلَ كُلَّه .

وكان داود يدعو على الخاطئين قبل أن يُصيبَ الذنب . فلمَّا أصاب الذنب قال : ياربِّ اغْفِرْ للخاطئين لعلَّك تغفرُ لي معهم .

قال عطاء الخُرَاسانيّ :

قيل لداود : يا داود ، ارفع رأسَك ، فذهب ليرفعَ فإذا هو قد نَشِبَ بالأرض ، فأتاه جبريلُ عليه السلام فاقتلعهُ عن وجه الأرض كما يُقتلَعُ عن الشجرة صَمْغُها . وقيل : إنَّه لزِقَ موضعُ مساجده على الأرض من فَرْوةِ وجهه ما شاء الله . قال ابنُ لَهيعة : فكان يقولُ في سجوده : سبحانك ، هذا شرابي دموعي ، وهذا طعامي رمادٌ بين يديّ .

قال وَهْبُ بن منبِّه :

إنَّ داودَ لمَّا تاب الله عليه قال : يا رب اغفِرْ لي ، قال : نعم ، قال : فكيف لي أنْ لا أنسى خطيئتي ، فأستغفِرُ منها لي وللخطَّائين إلى يوم ألقاك ؟ قال : فوشم الله خطيئتَهُ في يده اليمنى . فما رفع فيها [٥٩ / ب] طعاماً ولا شراباً إلاَّ بكى إذا رآها ، وما قام خطيباً في الناس إلاَّ بسط يده وراحتَهُ فاستقبلَ بها الناس ليروا وَشْمَ خطيئته .

وعن مجاهد أو سعيد بن المُسَيِّب قال :

يُبعثُ داودُ عليه السلام ، وذِكْرُ خطيئته ووجَلُه منها في قلبه ، منقوشة في كفِّه ، فإذا رأى أهاويلَ الموقف لم يجدْ منه مبعوداً ولا مُحْرَزاً إلاَّ برحمةِ الله وقُرْبه ، فيشير إليه أنْ هاهنا ، وأشار بيمينه إلى جنبه ، فذلك قولُ الله تعالى : ﴿ وإنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآبٍ ﴾[1] .

قال وَهْب :

أوحى الله إلى داودَ عليه السلام : يا داودُ ، ارفَعْ رأسكَ فقد غفرتُ لك ، غيرَ أنَّه ليس لك عندي ذلك الودُّ الذي كان .

---

(١) سورة ص ٣٨/٤٠

قال ثابتٌ البُنَاني :

قال داودُ : يارب كيف بأوريا بن حنان ؟ قال : أستوهبُكَ منه ، فيهبكَ لي ، وأرضيه من عندي ؛ قال : ياربّ ، الآن علمتُ أنْ قد غفرْتَ لي .

وعن ابن عمر قال : قال رسولُ الله ﷺ :

كان الناسُ يعودون داود ويظنُّونَ به مَرَضاً ، وما كان به مرضٌ إلاَّ شدَّةَ الخوف والحياءَ من الله عزَّ وجلّ .

وعن ثابت قال :

كان داودُ عليه السلام إذا ذكر عقابَ الله تخلَّعَتْ أوصالُه ، لا يشدُّها إلا أُسْر[1] ، وإذا ذكر رحمةَ الله تراجعَتْ .

وقال يزيد الرَّقَاشي :

كان لداودَ جاريتان قد أعدَّهما ، فكان إذا جاءه الخوف سقط واضطرب ، فقعدتا على صدره ورجليه مخافة أنْ تفرق أعضاؤهُ ومفاصلُه فيموت .

قال خالد بن دُرَيْك :

لقي داود لقمان فقال داود : كيف أصبحتَ يالقمان ؟ قال : أصبحتُ في يد غيري ؛ ففكَّرَ فيها داودُ فصَعِق .

وعن عثمانَ بنِ أبي العاتكة أنَّ داود كان يقول :

سبحانَ خالقِ النور ، إلهي ، إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقَت عليَّ الأرضُ برُحْبها ؛ وإذا ذكرتُ رحمتك ارتدَّ إليَّ روحي ، سبحانَ خالقِ النور ، إلهي ، خرجتُ أسألُ أطبَّاء عبادِكَ أن يُداوُوا لي خطيئتي [٦٠ / أ] فكلُّهم عليك يدلُّني ، سبحانَ خالقِ النور ، إلهي ، وَيْلٌ لمن أخطأ خطيئةً حَصادُها عذابُكَ إنْ لم تغفرْها له .

---

(١) الأسر : أي الشدُّ والعَصْب . (لسان) .

قال مالك بن دينار وغيره :

لمَّا أصاب داودُ الخطيئة أكثرَ من الدعاء فلم يُستجَبْ له ، فلمَّا رأى أنه لا يستجابُ له أخذ في نحوٍ من النياحة ؛ فرُحم فغُفِر له .

وعن يزيد قال :

كان داودُ إذا أراد أنْ يعِظَ الناسَ خرج بهم إلى الصحراء . قال : فخرج بهم ذات يوم في ثلاثين ألفاً من الناس ، فوعظهم ، فمات منهم عشرون ألفاً ، ورجع في عشرة آلافٍ من الناس مرضى .

وعن وَهْب بن مُنَبِّه

أنَّ داودَ عليه السلام لَمَّا تاب الله عزَّ وجلَّ عليه ، بكى على خطيئته ثلاثين سنةً لا يرقأُ دمعُه ليلاً ولا نهاراً ، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة ، فقسم الدَّهْرَ بعد الخطيئة على أربعة أيام : فكان يومٌ للقضاء بين بني إسرائيل ؛ ويومٌ لنسائه ؛ ويومٌ يسيحُ في الفيافي والجبال والساحل ؛ ويومٌ يخلو في دارٍ له فيها أربعةُ آلاف محراب ؛ فيجتمع إليه الرُّهْبان ، فينوحُ معهم على نفسه ، ويساعدونه على ذلك . فإذا كان يوم سياحته ، يخرج إلى الفيافي فيرفعُ صوتَهُ بالمزامير ، فيبكي ويبكي معه الشجرُ والرمالُ والطيرُ والوحوش ، حتى يسيلَ من دموعِه مثلُ الأنهار ، ثم يجيءُ إلى الجبال والحجارة والطير والدواب حتى يسيلَ أوديةٌ من مكائهم ، ثم يجيءُ إلى الساحل ، فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكي ويبكي معه الحيتانُ ودوابُّ البحر والسباع وطير السماء ، فإذا أمسى رجع ؛ فإذا كان يومُ نَوْحِهِ على نفسه نادى مناديه : إنَّ اليوم يوم نَوْحِ داودَ على نفسه فليحضُرْ مَنْ يساعدُه . قال : فيدخل الدارَ التي فيها المحاريب ، فيُبسَطُ له ثلاثةُ فرشٍ من مسوح ، حَشْوُها ليف ، فيجلس عليها ويجيءُ الرهبان ـ أربعة آلاف راهب ـ عليهم البرانس وفي أيديهم العصيّ ، فيجلسون في تلك المحاريب ، ثم يرفع داودُ صوتَهُ بالبكاء والنَّوْحِ على نفسه ، ويرفعُ الرهبانُ معه أصواتهم ، ولا يزالُ يبكي حتى تغرق الفُرش من دموعه ، ويقعُ داودُ فيها مثل الفرخ [٦٠ / ب] يضطربُ ، فيجيء ابنهُ سليمان فيحملُه ، فيأخذ داود من تلك الدموع بكفَّيه ثم يمسَحُ بها وجهه ويقول : ياربِّ ، اغفِرْ ماترى . فلو عُدِل بكاءُ داودَ بجميع بكاء أهلِ الدنيا لعدَلَه .

قال يحيى بن أبي كثير :

بلغنا أنه كان إذا كان يومُ نَوْحِ داودَ صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسلَّم مكث قبلَ ذلك سبعاً لا يأكلُ الطعام ولا يشربُ الشراب ولا يقربُ النساء . فإذا كان قبل ذلك بيوم أُخرج له منبر إلى البَرِّيَّة ، وأمر سليمان منادياً يستقري البلادَ وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والديارات والصوامع والبيَع ؛ فينادى فيهم : ألاَ مَنْ أحبَّ أنْ يستمع نَوْحَ داودَ فليأت . قال : فتأتي الوحش من البراري والآكام ، وتأتي السباعُ من الغياض ، وتأتي الهوامُّ من الجبال ، وتأتي الطير من الأوكار ، وتأتي الرهبانُ من الصوامع والديارات ، وتأتي العذارى من خدورها ؛ ويجتمع الناسُ لذلك اليوم ، ويأتي داودُ عليه السلام حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل ، وكل صنف على حزبه ، فيحيطون به يُصغون إليه . قال : وسليمانُ قائم على رأسه ، فيأخذ في الثناء على ربه ، فيضجُّونَ بالبكاء والصُّرَاخ ، ثم يأخذ في ذكر الجَنَّة والنار فيموت طائفةٌ من الناس ، وطائفةٌ من السباع ، وطائفةٌ من الهوامّ ، وطائفةٌ من الوحش ، وطائفةٌ من الرُّهْبان والعذارى المتعبدات ؛ ثم يأخذ في ذكر الموتِ وأهوال القيامة ، ثم يأخذ في النياحة على نفسه ، فيموت طائفة من هؤلاء وطائفة من هؤلاء ومن كلِّ صنفٍ طائفة .

فإذا رأى سليمانُ ماقد كان من الموت في كُلِّ فرقة منهم نادى : يا أبتاه ، قد مزَّقتَ المستمعين كُلَّ ممزَّق ، وماتت طوائف من بني إسرائيل ، ومن الوحش والهوام والسباع والرهبان ! قال : فيقطع النياحةَ ويأخذ في البكاء . قال : فبينا هو كذلك إذْ ناداه بعضُ عُبَّادِ بني إسرائيل : يا داود ، عجلتَ بطلب الجزاء على ربِّك ، فخرَّ داودُ عند ذلك مغشيّاً عليه ، قال : فلما نظر إليه سليمان وما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً [٦١ / أ] فنادى : من كان له مع داودَ حميمٌ أو قريب فلْتأتِ بسريرٍ فلْتحملْه ، فإنَّ الذين كانوا مع داودَ قد قتلهم ذِكْرُ الجنة والنار ، قال : فإن كانت المرأةُ لتأتي بالسرير ، فتقف على أبيها أو على أخيها أو على ابنها وهو ميت ، فتنادي : وابأبي ، أمَا من قتلَه ذكر النار ؟ وابأبي ، أما من قتله ذكر الجنَّة ؟ وابأبي ، أما من قتله ذكر الخوف من الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : وحتى إنَّ الوحش تجتمع على من مات منهم فتحمله ، والسباع والهوام ، ويتفرَّقون . فإذا أفاق داود من غشيته نادى سليمان : مافعلَتْ عُبَّادُ بني إسرائيل ؟ مافعل فلان وفلانة ؟ فيعدِّدُ نفراً من بني إسرائيل ، فيقول سليمان : يا أبتاه ، مُوِّتوا عن آخرهم ؛ فيقوم داود فيضعُ

يده على رأسه ثم يدخل بيت عبادته ، ويغلق عليه بابه ثم ينادي : أغضبانُ أنت على داودَ ، إلهَ داود ؟ أمْ كيف قصرتَ به أن يموتَ خوفاً منك ، أو فرقاً من تاركك أو شوقاً إلى جنَّتك ولقائك إلهَ داود ؟ فلا يزالُ كذلك سبعاً ينادي : إلهَ داودَ . قال : فيأتي سليمان فيقف على باب بيته فينادي : يا أبتاه ، أتأذنُ لي في الدخول عليك ؟ فيأذنُ له ، فيُدخلُ معه بقُرْص[1] شعير ، فيقول : يا أبتاه ، تقوَّ به على ما تريد . قال : فيأكل ذلك القُرْصَ ماشاء الله ، ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم .

قال الفُضَيْلُ بنُ عِيَاض :

سأل داودُ ربَّه أنْ يلقيَ في قلبه الخوف ، فدخلَهُ فلم يحتملْهُ قلبُه ، فطاش عقلُه حتى ما كان يعقِلُ صلاةً ولا شيئاً ، ولا ينتفعُ بشيء ؛ فقيل له : أتحبُّ أن يدعَكَ كما أنت أو يردَّكَ إلى ما كنت عليه ؟ قال : ردُّوني ، فرُدَّ عليه عقلُه .

قال أبو عبد الله الجَدَلي :

ما رفع داودُ رأسَهُ إلى السماء بعد الخطيئة حتى مات .

قال كعب :

توفي ابنٌ لداود ، فحزنَ عليه حُزْناً شديداً ، فقيل له : ما كان يعدِلُهُ عندك ؟ قال : ملْءُ الأرض ذهباً ؛ فقيل له : فإنَّ لك من الأجْر مثلَ ذلك .

وعن الحسن وغيره قال :

لمَّا نزلَتْ آيَةُ ﴿ الذين ﴾[2] قال رسولُ الله ﷺ : إنَّ أوَّلَ من جحدَ آدم ، إنَّ الله لما خلقَهُ مسحَ ظَهْرَه [٦١ / ب] فأخرج منه ما هو ذارئ ، فجعل يعرضُهم عليه ، فرأى فيهم رجلاً يَزْهَر[3] ، فقال : أيْ ربِّ ، أيُّ بنيَّ هذا ؟ قال : ابنُكَ داود ، قال : يا رب ، وكم عمرُه ؟ قال : ستون سنة ، قال : أي ربِّ ، زدْ في عمره ، قال : لا ، إلاَّ أنْ تزيدَهُ من عمرك

---

(١) كذا الأصل ، بزيادة الباء ، وهي غير مقيسة . انظر الجنى الداني ص ٥١

(٢) ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرَّتْهُمُ الحياةُ الدنيا ، فاليومَ ننساهُمْ كما نَسُوا لقاءَ يومِهِمْ هذا ، وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ [الأعراف ٥١/٧] .

(٣) يزهر : يتلألأ . والأزهر من الرجال الأبيض المشرق الوجه . (لسان) .

ـ قال : وكان عُمر آدمَ ألفَ سنة ـ فوهب له من عمره أربعين سنةً ؛ فكتب الله عليه كتاباً وأشهد عليه الملائكة . فلمَّا احتُضِر آدمُ أتتْه ملائكةٌ لتقبضه ، فقال : إنه قد بقي من عمري أربعون سنة ! قال : قد وهبتَها لابنك داود ؛ قال : مافعلتُ ، فأنزل الله الكتابَ وشهدَتْ عليه الملائكة ، وشهد به عليه ، وأكمل الله لآدمَ ألف سنة ، وأكمل لداودَ مئة سنة .

وفي حديث مرفوع عن النبيِّ ﷺ بمعناه قال :

فجحَد فجحدَتْ ذُرِّيَّتُه ، وخَطِئ فخطِئَتْ ذريَّته ، ونسِيَ فنسيَتْ ذريَّته ؛ فرأى فيهم القويَّ والضعيف ، والغنيَّ والفقير ، والصحيحَ والمُبْتَلى . قال : يارب ، ألاَ سوَّيْتَ بينهم . قال : أردتُ أُشكر .

وعن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال :

إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق آدمَ من تُراب ، ثم جعله طيناً ، ثم تركه ؛ حتى إذا كان حَمَأً مَسْنُوناً خلقه وصوَّره ثم تركه ؛ حتى إذا كان صَلْصالاً كالفخَّار قال : فكان إبليس يمرُّ به فيقول : لقد خُلقتَ لأمرٍ عظيم . ثم نفخ الله فيه من روحه ؛ فكان أوَّلَ ماجرى فيه الروح بصرُه وخياشيمُه ، فعطَسَ فلقَّاه الله حَمْدَ ربِّه ، فقال الرب : رحمك ربُّك ، ثم قال الله : ياآدمُ ، اذهبْ إلى أولئك النَّفَر فقل لهم ، فانظُرْ ماذا يقولون ؟ فجاء فسلَّم عليهم ، فقالوا : وعليك السلامُ ورحمة الله ؛ فجاء إلى ربه فقال : ماذا قالوا لك ؟ ـ وهو أعلَمُ ماقالوا له ـ قال : يارب ، لمَّا سلَّمْتُ عليهم قالوا : وعليك السلامُ ورحمةُ الله ، فقال : ياآدم ، هذا تحيَّتُك وتحيَّةُ ذرِّيَّتِكَ ، قال : يارب ، وما ذُرِّيَّتي ؟ قال : اخْتَرْ يدي ياآدم ، قال : اخترتُ يمين ربي وكلتا يدَيْ ربي يمين ؛ فبسط الله كفيه ، فإذا كُلُّ ماهو كائنٌ من ذرِّيَّته في كفِّ الرحمن ؛ فإذا رجالٌ منهم على أفواههم النُّور [٦٢/ أ] وإذا رجلٌ تعجَّب آدمُ من نوره فقال : يارب ، مَنْ هذا ؟ قال : هذا ابْنُكَ داود . وساق بقيَّةَ الحديث في عُمره إلى آخره .

وعن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

كان داودُ النبيُّ ﷺ فيه غَيْرَةٌ شديدة ، فكان إذا خرج أُغلقتِ الأبوابُ فلم يدخلْ على أهله أحَدٌ حتى يرجع . قال : فخرج ذاتَ يوم ، وغُلِّقتِ الدار ؛ فأقبلتِ امرأتُه تطَّلِعُ إلى الدار ، وإذا رجلٌ قائم وسْطَ الدار ، فقالت لمن في البيت : من أينَ دخلَ هذا الرجلُ والدارُ

مغلقة ؟ والله لنُفتضحنَّ بداود ؛ فجاء داود ، فإذا الرجلُ قائمٌ وسْطَ الدار ، فقال له داود : من أنت ؟ قال : الذي لا أهابُ الملوك ، ولا يمتنع مني الحجاب[1] ؛ فقال داود : أنت والله إذاً مَلَكُ المَوْت ، مرحباً بأمْرِ الله ، فَزَمّل[2] داود مكانه حتى[3] قُبِضَتْ نفسه ، حتى فرغ من شأنه ، فطلعت عليه الشمس ، فقال سُليمان للطير : أظِلِّي على داود ، فأظلَّتْ عليه الطير حتى أظلمَتْ عليهم الأرض ، فقال سليمان : اقبضي جناحاً جناحاً . قال أبو هريرة : يرينا رسولُ الله ﷺ كيف فعلتِ الطير ، وقبض رسولُ الله ﷺ بيده ، وغلبَتْ عليه يومئذٍ المَضْرَحيَّة[4] .

وروي أنَّ مَلَك الموت أتى داودَ عليه السلام وهو يصعد في محرابه أو ينزل . قال : فقال : جئت لأقبضَ نفسك ، فقال : دعني حتى أنزلَ أو أرتقي ، قال : ما إلى ذلك سبيل ، نفِدَتِ الأيام والشهور والسِّنونَ والآثار والأرزاق ، فما أنت بمؤثرٍ عنده أثراً . قال : فسجد داود على مِرْقاةٍ من ذلك الدرج ؛ فقبض نفسه على تلك الحال .

وقيل : مات داودُ يوم السبت فجأةً . وقيل : يوم الأربعاء .

وقيل : إنَّ إبراهيم خليلَ الله مات فجأةً ، ومات داودُ فجأةً ، ومات سليمانُ بن داودَ فجأة ، والصالحون ؛ وهو تخفيفٌ على المؤمن وتشديدٌ على الكافر .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه :

إنَّ الناس حضروا جنازة داود عليه السلام ، فجلسوا في الشمس في يومٍ صائف [٦٢ / ب] قال : وكان شيَّعَ جنازته يومئذٍ أربعون ألف راهبٍ عليهم البرانس ، سوى غيرهم من الناس ؛ ولم يُمتْ في بني إسرائيلَ بعد موسى وهارونَ نبيٌّ كانت بنو إسرائيلَ أشدَّ جزَعاً عليه منهم على داود . قال : فأذْلقهم الحرّ[5] ، فنادَوْا سليمانَ أن يعجل عليهم لما أصابهم

(١) كذا الأصل ، وكذا في « جمع الجوامع » للسيوطي ، وفي مسند أحمد ٤١٩/٢ (ولا يمتنع مني شيء) وفي « البداية والنهاية » ١٧/٢ عن أحمد في مسنده (ولا أمنع من الحجاب) .

(٢) في الأصل بالزاي المعجمة وكذا في جمع الجوامع ١٠٤٧/٢ (نسخة الظاهرية) ، وفي مسند أحمد ٤١٩/٢ والفتح الرباني ١١٩/٢٠ : « فرمل » ، وفي البداية والنهاية : « فمكث » .

(٣) كذا في الأصل ، وفي مسند أحمد وجمع الجوامع : « حيث » وهو أشبه بالصواب .

(٤) قال الحافظ ابن كثير بعد سياق الخبر : ومعنى قوله غلبت عليه يومئذ المضرحية : أي وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة ، واحدها مضرحيّ . البداية والنهاية ١٧/٢

(٥) أذلقهم الحر : أضعفهم وبلغ منهم الجهد .

من الحرّ ؛ فخرج سليمان ، فنادى الطير ، فأجابت ، فأمرها فأظلّت الناس . قال : فتراصّ بعضُها إلى بعض من كُلّ وجه حتى استمسكت الريح ، فكاد الناسُ أن يهلكوا غمّاً ، فصاحوا إلى سليمانَ عليه السلام من الغمّ ، فخرج سليمانُ فنادى الطير : أنْ أظِلّي الناسَ من ناحية الشمس وتنحّيْ عن ناحية الريح ؛ ففعلَتْ ، فكان الناس في ظل ، تهبُّ عليهم الريح . فكان ذلك من أوّلِ ما رأوا من ملك سليمان .

وعن أبي الدّرْداء قال : قال رسولُ الله ﷺ :

لقد قبضَ الله داودَ عليه السلام من بين أصحابه ، ما فُتِنوا ولا بدّلوا . ولقد مكث أصحابُ المسيح على سُنّتِه وهَدْيه مئتي سنة .

وعن عُبيد بن عُمير قال :

لا يأمَنُ داودُ يوم القيامة ، يقول : ربّ ، ذنبي ذنبي ، فقال له : ادْنُه ـ ثلاث مرات ـ حتى يبلغ مكاناً الله به أعلم ؛ فكأنه يأمن فيه ؛ فذلك قولُه : ﴿ وإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآب ﴾[1] .

وعن مالك بن دينار

في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآب ﴾[1] قال : يقيم الله داودَ عند ساق العرش فيقول : يا داود ، مَجِّدْني بذلك الصوت الحسن الرخيم ، فيقول : إلهي ، وكيف أمجّدُكَ به وقد سلَبْتَنيه في دار الدنيا ؟ فيقول : فإني رادُّه عليك اليوم ؛ فيردُّهُ عليه ، فيرفع داودُ صوتَه ، فيستفرغُ صوتُ داودَ نعيمَ أهلِ الجنّة .

وفي رواية : فيرفع داودُ صوته بالزبور ، فيستفرغ نعيمَ أهلِ الجنّة .

والرخيم من الأصوات : الشَّجِيّ .

وعن أحمد بن يونس عن ابن شهاب عن خالد بن دينار النّيلي عن حماد بن جعفر عن ابن عمر قال :

ألاَ أخبرُكم بأسفل أهل الجنة ؟ [٦٣ / أ] قالوا : بلى ، فقال : رجلٌ يدخلُ من باب الجنة ، فتتلقّاهُ غلمانُه ، فيقولونَ له : مرحباً بك يا سيّدنا قد آنَ لك أنْ تؤوب . قال :

---

(١) سورة ص ٣٨/٤٠

فَتَمَدُّ له الزَّرَابِيُّ أربعين سنة ، ثم ينظر عن يمينه وعن شماله فيرى الجنان ، فيقول : لِمَنْ ماهاهنا ؟ فيقال : لك . حتى إذا انتهى رُفعت له ياقوتةٌ حمراء ، أو زُمُرُّدَةٌ خضراء ، لها سبعون شِعباً ، في كُلِّ شِعْب سبعون غرفة ، في كُلِّ غرفة سبعون باباً ؛ فيقال له : اقرأْ وارْقَ ؛ قال : فيرتقي حتى إذا انتهى إلى سرير مُلْكه اتَّكأ عليه سَعَةَ ميلٍ في ميل ، وله عنه فُضول ، يُسعى عليها بسبعين ألفَ صَحْفَةٍ من ذهب ، ليس فيها صَحْفةٌ فيها من لون صاحبتها ، فيجدُ لذَّةَ آخرها كما يجدُ لذةَ أوَّلِها ؛ ثم يُسعى عليه بألوان الأشربة ، فيشربُ منها مااشتهى ؛ ثم يقولُ الغلمان : ذَرُوهُ وأزواجَه . قال : فيتنحَّى من الغلمان ، فإذا من الحور العِين قاعدةٌ على سرير مُلْكها ، فيرى مُخَّ ساقها من صفاء اللحم والدم ، فيقول لها : من أنت ؟ فتقول : أنا من الحور العين اللائي خُبِّئْنَ لك ، فينظرُ إليها أربعين سنةً لا يرفعُ بصرَهُ عنها ، ثم يرفع بصره إلى الغُرْفة فوقه فإذا أُخرى أجملُ منها ، فيقول : ماآنَ لنا أنْ يكون لنا منكِ نصيب ؟ فيرتقي إليها فينظرُ إليها أربعين سنةً لا يصرفُ بصرَهُ عنها . حتى إذا بلغ النعيم منهم كُلَّ مبلغ ظنُّوا أنْ لانعيمَ أفضلَ منه تجلَّى لهم الربُّ تبارك وتعالى ، فنظروا إلى وجه الرحمنِ عزَّ وجلّ ، فنسُوا كُلَّ نعيم عاشوه حين نظروا إلى وجهِ الرحمنِ عزَّ وجلّ ، فيقول : يا أهل الجنة ، هلُمّوني ؛ فيتجاوبون بالتهليل ؛ فيقول : يا داود ، قُمْ فمجِّدْني كما كنتَ تمجِّدُني في الدنيا . فيمجِّدُ داودُ ربَّه عزَّ وجل .

قال أحمد بن يونس : قلت لابنِ شهاب : حديثُ خالد بن دينار في ذكر الجنة ، رفَعَه ؟ قال : نعم .

وعن عكرمة

أنَّ داودَ يقومُ على أطولِ سُرر في الجنَّةِ ينادي بصوته الذي أعطاه الله : لاإله إلاَّ الله .

[٦٣ / ب] ٧١ ـ داود بن أحمد بن عَطِيَّة العَنْسيّ

أخو أبي سُليمان الدارانيّ الزاهد . دمشقيّ . واسْمُ أبي سليمان : عبد الرحمن بن أحمد بن عطيَّة .

قال أبو سليمان الداراني :

ماوجدنا شيئاً أعجل ثواباً من برِّ القرابة . كنت ربما نويتُ أنْ أخرجَ إلى أخٍ لي

بـالعراق ، فـآخـذُ ثوابَ ذلـك قبل أنْ أكتريَ ، وقبلَ أنْ أتجهَّز ؛ وأيُّ شيءٍ صلتي لـه ؟ ليس عندي شيءٌ أعطيه ، ولكنْ أرجو إذا رأوني وصلوه . وكان له أخ ببغداد اسمه داود .

وكان لداود كلامٌ مثل كلام أخيه أبي سليمان في الرياضات والمعاملات .

قال أحمد بن [أبي] الحَوَارى[1] :

قلتُ لداودَ بن أحمد الـدارانيّ : مـاتقولُ في القلب يسمعُ الصوتَ الحسن ، هو ترفيـه ؟ قال : كُلُّ قلبٍ يؤثِّرُ فيه الصوتُ الحسن فهو ضعيف ، يُداوى كما تداوى النفسُ المريضة .

٧٢ ـ داودُ بنُ الأسود ويقال : ابن أبي الأسود

الجُهَنيّ

دمشقيّ . ممَّن سعى في بيعة يزيد بن الوليد الناقص .

حدَّث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشةَ رضي الله عنها

أنَّ رسـولَ الله ﷺ كان إذا صلَّى تطـوُّعـاً فشـقَّ عليـه طـولُ القيـام ركـع ثم سجـد سجدتَيْن ، ثم قعد فقرأ قاعداً مابَدا له ؛ وإذا أراد أنْ يركع قام فقرأ ، ثم ركع وسجد ؛ صلَّى الله عليه وسلَّم .

٧٣ ـ داودُ بن أيُّوب بن سُليمان بن عبد الأَحَد

ويقال : عبد الواحد بن أبي حَجْر ، أبو بِشْر ، ويقال : أبو سليمان بن أبي سليمان الأيْليّ

روى بأيْلةَ[2] سنة سبعين عن أبيه بسنده عن زيد بن خالد الجُهَني أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

مَنْ توضَّأَ فـأحسنَ الوضوء ، ثم صلَّى ركعتين لا يسـهـو فيهما غَفَر الله لـه مـاتقـدَّمَ من ذنبه .

---

(١) ويقال بكسر الراء وتشديد الياء كما في حاشية « الإكمال » ٢١٦/٣

(٢) أيلة : مدينـة على سـاحل بحر القلزم مما يلي الشـام ؛ وقيل : هي آخر الحجـاز وأول الشـام . انظر معجم البلدان .

٧٤ ـ داود بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَقِيل بن سعيد

[٦٤ / أ] أبو سليمان النيسابوريُّ البَيْهقيُّ الخُسْرَوْجِرْدِيّ

سمع بالشام وبغيرها حدَّث بخُسْرَوجِرْد[٢] سنةَ ثلاث وتسعين ومئتين .

حدَّث عن أبي زكريَّا يحيى بن عبد الرحمن التميميّ النيسابوريّ بسنده عن نافع ، عن عبد الله :

أنه وجد بَرداً شديداً وهو في سفر ؛ فأمَرَ المؤذِّن [و][٢] من معه بأنْ يصلُّوا في رحالهم ، فإني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يأمرُ بذلك إذا كان مثل هذا .

ولد داودُ بن الحسين سنة مئتين ، ومات بخسروجِرْد سنة ثلاث وتسعين ومئتين .

٧٥ ـ داود بن دينار أبي هِنْد بنِ غُدافِر

أبو بكر ويقال : أبو محمد ، ويقال اسم أبي هند : طهمان القُشَيري

مولاهم البَصْريّ

قدِمَ دمشق [وحدَّث][٢] بها .

روى عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال :

نهى رسولُ الله ﷺ أنْ تُنْكَح المرأة على خالتها أو على عمتها ، وأن تسألَ المرأةُ طلاقَ أختِها لتكتفئ بما في صَحْفتها ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ رازقها .

قال داودُ بن أبي هند :

قدمتُ دمشق فسألوني عن أولاد المشركين ، فحدَّثتهم عن الحسن ، عن أبي هريرة أنه قال : كُلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرة . وحدَّثتهم عن الشَّعْبي ، عن علقمة ، أنَّ ابنَيْ مُلَيْكةَ قالا : يارسولَ الله إنَّ أُمَّنا وأدَتْ مَوْءُودَةً في الجاهليَّة ، فقال رسولُ الله ﷺ : الوائدةُ والمَوْءُودةُ في النَّار إلاَّ أنْ تدركَ الوائدةُ الإسلامَ فتسلم .

---

(١) خسروجرد : مدينة كانت قصبة بيهق من أعمال نيسابور . انظر معجم البلدان ، والضبط من اللباب ٤٤٢/١

(٢) مابين معقوفين من تاريخ ابن عساكر (س) .

قال داودُ بن أبي هند :

أتيتُ الشام ، فلقيني غيلان ، فقال : يا داود إني أريدُ أنْ أسألَك عن مسائل ، قلتُ : سَلْني عن خمسين مسألة وأسألُكَ عن مسألتيْن ، قال : سَلْ يا داود ، قلت : أخبِرْني : ما أفضَلُ ما أُعطي ابنُ آدم ؟ قال : العقل ؛ قلت : فأخبِرْني عن العقل ، هو شيءٌ مباحٌ للناس ، مَنْ شاء أخذه ، ومن شاء تركه ، أو هو مقسومٌ بينهم ؟ قال : فمضى ولم يُجِبْني .

توفي داود سنة تسعٍ وثلاثين ومئة . وكان ثقةً ؛ وكان من أهْلِ سَرْخَس ، وبها ولَدُه . وقيل : مات في طريق مَكَّة .

أرسل ابنُ هُبَيْرَة [٦٤ / ب] إلى داودَ بن أبي هند وإلى حُمَيْد الطويل وإلى ابن شُبْرُمَة وابن أبي ليلى ؛ فكانوا يحضرُونه فيسألُهم عن الشيء ، فيَبْتدِرُ ابنُ شُبْرُمَة وابنُ أبي ليلى الجواب ، ويسكتُ هذان ؛ قال ابنُ هُبَيرة : ما بالكُما تسكتان ؟ قال داود لِهذَيْن : أخبِراني عمَّا تجيبان فيه ، أشيئاً سمعتما فيه شيئاً ، أم برأيكما ؟ فقالا : بل برأينا ؛ قال داود : مابالُ الرَّأي يُبادَرُ إليه ، أو يُسارَعُ إليه ؟! .

قال ابنُ جريج :

ما رأيتُ مثلَ داودَ بنِ أبي هند ، إنْ كان ليفرَعُ العِلْمَ فَرْعاً[1] .

وكان داودُ بن أبي هند خيَّاطاً ، رجلاً صالحاً ، ثقةً ، حسَنَ الإسناد .

قال حمَّادُ بن زيد :

قلت لداودَ بنِ أبي هند : ياأبا بكر ؛ ما تقولُ في القدَر ؟ فقال : أقولُ كما قال مُطَرِّفُ بن عبد الله : لم تُوكَلُوا إلى القدَر ، وإلى القدر تصيرون .

قال ابنُ أبي عديّ :

أقبل علينا داودُ بن أبي هند فقال : يا فتيان ، أخبركم لعلَّ بعضكم أنْ ينتفعَ به : كنتُ وأنا غلام أختلفُ إلى السوق ، فإذا انقلبتُ إلى البيت جعلتُ على نفسي أنْ أذكُرَ الله

---

(١) يقال : فَرَع الأرض : إذا جوَّل فيها وعرف خَبَرها ؛ ولفظ أبي نعيم في « الحلية » ٩٢/٣ (رأيته ينزع العلم نزعاً) وفي « سير أعلام النبلاء » ٣٧٧/٦ (قرع) بالقاف . وما أثبته المصنف هو الأشبه بالصواب .

إلى مكان كذا وكذا ؛ فإذا بلغتُ ذلك المكان جعلتُ على نفسي أنْ أذكر الله إلى مكان كذا وكذا حتى آتي المنزل .

قال ابنُ أبي عدي :

صام داود أربعين سنةً لا يعلَمُ به أهله . وكان خزّازاً يحملُ معه غداءه من عندهم فيتصدّق به في الطريق ، ويرجع عشاءً فيفطر معهم .

قال داود بن أبي هند :

جالستُ الفقهاء ، فوجدتُ ديني عندهم ، وجالستُ أصحاب المواعظ فوجدتُ الرقة في قلبي بهم ، وجالستُ كبار الناس فوجدت المروءة فيهم ، وجالستُ شرارَ الناس فوجدتُ أحدهم يطلّق امرأته على شيءٍ لا يساوي شعيرة .

قال داود بن أبي هند :

مرضتُ مرضاً شديداً حتى ظننتُ أنّه الموت ، فكان باب بيتي قِبالةَ باب حُجْرتي ، وكان بابُ حُجْرتي قِبالةَ باب داري ، قال : فنظرتُ إلى رجلٍ قد أقبل ضخم الهامة [٦٥ / أ] ضخم المناكب ، كأنّه من هؤلاء الذين يقال لهم : الزُّطّ ، قال : فلمّا رأيتُه شبّهتُه بهؤلاء الذين يعملون الرُّب ، فاسترجعتُ وقلت : يقبضُني وأنا كافر . قال : وسمعتُ أنه يقبضُ أنفسَ الكفار ملكٌ أسود . قال : فبينا أنا كذلك إذ سمعتُ سقفَ البيت ينتقض ، ثم انفرج حتى رأيت السماء . قال : ثم نزل عليَّ رجلٌ عليه ثياب بياض ، ثم أتبعَهُ آخر فصارا اثنين ، فصاحا بالأسود ، فأدبَرَ وجعل ينظرُ إليَّ من بعيد . قال : وهما يزجرانه ، قال داود : وقلبي أشدُّ من الحجارة . قال : فجلس واحد عند رأسي ، وجلس واحدٌ عند رِجْلي . قال : فقال صاحبُ الرأس لصاحب الرجْلَيْن : المِسْ ، فلمَسَ بين أصابعي ثم قال له : كثر النقل بها إلى الصلوات ، ثم قال صاحبُ الرجلين لصاحب الرأس : المِسْ ، فلمَسَ لَهَوَاتي ثم قال : رَطْبَةٌ بذكر الله عزَّ وجلَّ . قال : ثم قال أحدهما لصاحبه : لم يأْنِ له بعد . قال : ثم انفرج السقف فخرجا ؛ ثم عاد السقف كما كان .

توفي داود بن أبي هند سنة تسع وثلاثين . وقيل : سنة سبع وثلاثين ومئة ، في طريق مكة ؛ وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة .

٧٦ ـ داودُ بنُ رُشَيْد أبو الفضل الخُوَارَزْميّ

سمع بدمشق .

حدَّث عن الوليد بن مسلم بسنده عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال :

مَنْ أعتق رقبة أعتق الله بكُلِّ إرْبٍ منها إرْباً منه منَ النار ، حتى باليد اليد ، وبالرِّجْل الرجل ، وبالفَرْج الفرج . فقال له عليُّ بن حسين : ياسعيد[1] سمعتَ هذا من أبي هريرة ؟ قال : نعم . قال لغلام له ، أقرب غلمانه : ادعُ لي قبطيّاً . فلمَّا قام بين يديه قال : اذْهَبْ فأنت حرٌّ لوجه الله .

وحدَّث داودُ بن رُشَيد عن شعيب بن إسحاق بسنده عن عبد الله بن عُمَر أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

لا تحرَّوْا بصلاتكم طلوعَ الشمسِ ولا غُروبَها ، فإنها تطلعُ بقرنَيْ شيطان .

[٦٥ / ب] وحدَّث عن سلَمَة بنِ بشر بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :

أكرموا أولادَكم وأحسِنُوا أدَبَهُمْ .

توفي داود بن رُشَيد يوم الجمعة لسبعٍ خلَوْنَ من شعبان سنة تسع وثلاثين ومئتين . وكان قد كُفَّ بصَرُه . وكان يحيى بن مَعين يوثِّقُه . وكان صدوقاً .

قال داود بن رُشَيد :

قمتُ ليلةً أصلِّي ، فأخذني البَرْد لما أنا فيه من العُرْي ، فأخذني النوم ؛ فرأيتُ فيما يرى النائم كأنَّ قائلاً يقولُ لي : يا داود ، أنمناهم وأقمناك ، فتبكي علينا . قال إبراهيم الحَرْبي : فأرى داودَ مانام بعدها .

وكان داودُ بن رُشَيد يقول :

قالت حكماءُ الهند : لا ظَفَر مع بَغْي ، ولا صحَّةَ مع نَهَم ، ولا ثناءَ مع كِبْر ، ولا صداقة مع خِبّ ، ولا شرفَ مع سوء أدب ، ولا برَّ مع شُحّ ، ولا اجتنابَ مُحَرَّم مع حِرْص ، ولا محبَّة مع هُزْء ، ولا ولاية حكمٍ مع عدَمِ فِقْه ، ولا عُذْرَ مع إصرار ، ولا سلم قلب مع

---

(١) هو سعيد بن مرجانة ، وعلي هو زين العابدين كما في سند الحديث عند ابن عساكر .

الغيبة ، ولا راحة مع حسد ، ولا سؤدَدَ مع انتقام ، ولا رئاسة مع عَرَارةِ[1] نفسٍ وعُجْب ، ولا صوابَ مع ترك المشاورة ، ولا ثباتَ ملكٍ مع تهاونٍ وجهالةِ وزراء .

٧٧ ـ داودُ بنُ الزِّبْرقانِ ، أبو عمرو الرَّقاشيُّ

البصريّ

روى عن مطَر الورّاق بسنده عن عبد الرحمن بن سَمُرة القرشي بأنّ رسول الله ﷺ قال :

يا عبد الرحمن ، لا تسَلِ الإمارة ، فإنّك إنْ أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها ؛ وإذا حَلَفْتَ على يمين ، فرأيتَ غَيْرَها خيراً منها فأْتِ الذي هو خير ، وكفِّرْ عن يمينك .

وحدّث عن زيد بن أسلم بسنده عن رافع بن خَدِيج قال : قال رسولُ الله ﷺ :

أسفِرُوا بالفَجْر فإنها مسفرة[2] .

ضعّفه يحيى بنُ مَعين وقال : ليس بشيء .

[٦٦/أ] ٧٨ ـ داود بن سَلْم . يقال إنه مولى بني تميمِ بن مُرّة

ثم لآل أبي بكر الصدّيق ، ويقال لآل طلحة

شاعر من أهل المدينة قدم على حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية ومدحه[3] ؛ وله مدائح مستحسنة . ومن شعره في قُثَم بن العباس : [من السريع]

نَجَوْتِ من حَلٍّ ومن رِحْلَةٍ ... يا ناقُ إنْ قرَّبْتِني من قُثَمْ

إنَّكِ إنْ بلَّغْتِنيهِ غداً ... عاشَ لنا اليُسْرُ وماتَ العَدَمْ

في باعِهِ طولٌ وفي وجهِهِ ... نُورٌ وفي العِرْنين منه شَمَمْ

لَمْ يَدْرِ ما «لا» و«بَلَى» قَدْ دَرى ... فعافَها واعْتاضَ منها «نَعَمْ»[4]

---

(١) العرارة : سوء الخلق . (لسان) .

(٢) أسفروا بالفجر : صلّوا صلاة الفجر بعد ما يتبين الفجر ويظهر ظهوراً لا ارتياب فيه . ويقال في معناه أيضاً : طوّلوها إلى الإسفار . (لسان) .

(٣) في الأصل (مدائحه) وما أثبتناه من التاريخ (س) ٦/١١ آ .

(٤) الأبيات في الأغاني ٥/١٤٠ ، ١٤١ و ٨/١٠٦ ، ١٠٧ ط بولاق والكامل للمبرد ٢/٢٢٩ . وأورد ابن الكلبي بيتين منها في جمهرة النسب ١/١٤١ .

ومن شعره فيه : [من البسيط]

كم صارخٍ بكَ مِن راجٍ وصارخةٍ ... يدعوكَ ياقُثَمَ الخيراتِ ياقُثَمُ
هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
يكادُ يعلقُهُ عرفانُ راحتِهِ ... رُكْنَ الحَطِيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ
إذا رأَتْهُ قريشٌ قالَ قائلُها ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكَرَمُ
هذا الذي لم يُضِعْ للمُلْكِ حُرْمَتَهُ ... إنَّ الكريمَ الذي تَحْظَى به الحُرَمُ[1]

٧٩ ـ داود بن عليّ بن عبد الله بن العباس

ابن عبد المُطَّلب ، أبو سليمان الهاشمي

وليَ إمْرَةَ الكوفة في زمن ابن أخيه أبي العباس السفّاح ؛ ثم ولاّه المدينةَ والموسم ومكّة واليمن واليمامة . قدم دمشق غير مرّة . وقيل إنه كان قدَرِيّاً .

حدّث داود بن علي عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال :

بعثني العباسُ إلى رسول الله ﷺ ، فأتيتُه مسياً وهو في بيت خالتي مَيْمونة . قال : فقام رسولُ الله ﷺ يُصلّي من الليل ، فلمّا صلّى الركعتين قبل الفجر قال : اللهمّ إني أسألك رحمةً من عندك تَهْدي [٦٦ / ب] بها قلبي ، وتجمعُ بها شَمْلي ، وتَلُمُّ بها شَعَثي ، وتردُّ بها أُلْفَتي ، وتصْلِحُ بها ديني ، وتحفظُ بها غائبي ، وترفَعُ بها شاهدي ، وتُزَكّي بها عَمَلي ، وتبيِّضُ بها وجهي ، وتُلْهمني بها رُشْدي ، وتعصمُني بها من كُلّ سُوء . اللهمّ أعطِني إيماناً صادقاً ، ويقيناً ليس بعده كُفْر ، ورحمةً أنالُ بها شرفَ كرامتك في الدنيا والآخرة ؛ اللهمّ ، إني أسألُكَ الفَوْزَ عند القضاء ، ونُزُلَ الشهداء ، وعَيْشَ السعداء ، ومرافقةَ الأنبياء ، والنصر على الأعداء ؛ اللهمّ أنزِلْ بها حاجتي ، وإنْ قَصَّر رأْيي وضَعُفَ عملي وافتقرتُ إلى

---

(١) هناك خلاف حول قائل هذه الأبيات ، فتعزى ـ عدا الأول منها ـ إلى الحزين الكناني في عبد الله بن عبد الملك ، وإلى صاحب الترجمة ، وإلى الفرزدق في علي بن الحسين ، وإلى خالد بن يزيد مولى قثم . وقد رجح أبو الفرج القول الأول . أما البيتان الأول والثالث فقيل إن رجلاً من العرب يقال له داود أنشدهما لقثم . انظر « الأغاني » ٣٢٥/١٥ ـ ٣٢٩ ط دار الكتب وبعض الأبيات في ديوان الفرزدق ٨٤٨/٢ ، ٨٤٩ و « سير أعلام النبلاء » ٣٦٨/٤ ، ٣٦٩

رحمتك ، فأسألكَ يا قاضيَ الأمور ، ويا شافيَ الصدور ، كما تُجيرُ بين البحور أنْ تجيرني من عذابِ السَّعير ، ومن دَعْوة الثُّبُور ، ومن فتنةِ القبور . اللهمَّ ماقصَّر عنه رأيي وضعُفَ عنه عملي ، ولم تبلغْهُ نيَّتي أو أمْنِيَّتي من خَيْرٍ وَعدْتَهُ أحداً من عبادك ، أو خيرٍ أنت معطيه أحداً من خَلْقك ؛ فإني أرغَبُ إليك فيه . وأسألُكَ يا ربَّ العالمين . اللهمَّ اجعلْنا هادين مهديِّين ، غيرَ ضالِّين ولا مُضِلِّين ، حَرْباً لأعدائك ، سِلْماً لأوليائك ، نُحِبُّ بحبِّك الناس ، ونعادي بعداوتك مَن خالفَكَ مِن خلقك . اللهمَّ هذا الدعاء وعليك الاستجابة ، وهذا الجُهْد وعليك التُّكْلان ، ولا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله . اللهمَّ ذا الحَبْلِ الشديد والأمْرِ الرشيد ، أسألُكَ الأمْنَ يومَ الوعيد ، والجنَّةَ يوم الخلود ، مع المقربينَ الشهود ، والرُّكَّعِ السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم وَدُود ، وأنت تفعَلُ ماتريد . سبحان الذي تعطَّف العزَّ وقال به[1] . سبحان الذي لبس المجد وتكرَّم به . سبحانَ الذي لا ينبغي التسبيح إلاَّ له . سبحان ذي الفضلِ والنِّعَم . سبحان ذي القُدْرة والكرم . سبحان الذي أحْصى كُلَّ شيءٍ بعلمه . اللهمَّ اجعلْ لي نوراً في قلبي ، ونوراً في قَبْري ، ونوراً في سمعي ، ونوراً في بصري ، ونوراً في شعري ، ونوراً في بشَري ، ونوراً في لحمي [٦٧ / أ] ونوراً في دمي ، ونوراً في عظامي ، ونوراً من بين يديّ ، ونوراً من خلفي ، ونوراً عن يميني ، ونوراً عن شمالي ، ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي ؛ اللهمَّ زِدْني نوراً ، وأعطني نوراً ، واجعلْ لي نوراً .

وعنه قال :

أردتُ أنْ أعرف صلاة رسولِ الله ﷺ من الليل ، فسألتُه عن ليلته ؟ فقيل : لميمونةَ الهلالية ؛ فأتيتُها فقلت : إني تنحيت عن الشيخ ، ففرشَتْ لي في جانب الحُجْرَة . فلمَّا صلَّى رسولُ الله ﷺ بأصحابه صلاةَ العشاء الآخرة دخل إلى منزله ، فحسَّ حِسِّي ، فقال : يا مَيْمونة ، مَنْ ضيفُك ؟ قالت : ابنُ عمك يا رسولَ الله عبد الله بن عباس . قال : فأوى رسولُ الله ﷺ إلى فراشه . فلما كان في جَوْفِ الليل خرج إلى الحُجْرة ، فقلَّب في أُفُقِ السماء وجهه ثم قال : نامتِ العيون ، وغارتِ النجوم ، والله حيٌّ قيُّوم ، ثم رجع إلى فراشه . فلمَّا كان ثلث الليل الآخر خرج إلى الحجرة ، فقلَّب في أفق السماء وَجْهَهُ وقال : نامت العيون ،

---

(١) كذا رواية الترمذي في سننه ١٤٨/٥ وفي « فيض القدير » (تعطف بالعز) . وكذا في اللسان ، وفيه : والتعطف في حق الله مجاز يراد به الاتصاف ، كأن العزَّ شمله شمول الرداء ، هذا قول ابن الأثير ، ولا يعجبني قوله : كأن العزَّ شمله شمول الرداء ، والله تعالى يشمل كلَّ شيء . ا هـ . (عطف) .

وغارت النجوم ، والله حيٌّ قيُّوم ، ثم عَمَد إلى قِرْبةٍ في ناحية الحُجْرة ، فحلَّ شِناقها[1] ، ثم توضَّأ فأسبغ وضوءه ، ثم قام إلى مصلاَّه ، فكبَّر وقام حتى قلتُ : لن يركع ، ثم ركع فقلتُ : لن يرفعَ صُلْبَه ، ثم رفع صلبه ، ثم سجد فقلتُ : لن يرفعَ رأسَه ، ثم جلسَ فقلتُ : لن يعود ، ثم سجد فقلتُ : لن يقوم ، ثم قام فصلَّى ثمان ركعات ، كل ركعة دون التي قبلها ، يفصلُ في كلِّ ثنتين بالتسليم . وصلَّى ثلاثاً أَوْتَر بهنَّ بعد الاثنتين ، وقام في الواحدة الأولى . فلمَّا ركع الركعة الأخيرة ، فاعتدل قائماً من ركوعه ، قنَت فقال : اللهمَّ إني أسألُكَ رحمةً من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها أمري .. الدعاءَ إلى آخره بمعنى الدعاء الأول ، ثم سجد رسولُ الله ﷺ . فكان فراغُه من وِتْره وقت ركعتي الفجر ؛ فركع في منزله ، ثم خرج فصلَّى بأصحابه صلاة الصبح .

وعنه أيضاً قال :

أكل رسولُ الله ﷺ لحماً ثم صلَّى ولم يتوضَّأْ .

قال محمد بن أبي رَزِين [٦٧ / ب] الخزاعي : سمعتُ داودَ بن علي - حين بُويعَ لبني العباس ، وهو مسندٌ ظهرَهُ إلى الكعبة - فقال :

شكراً شكرا ، إنَّا والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهراً ، ولا لنبنيَ قصرا ؛ ظنَّ عدوُّ الله أنْ لن تقدر عليه ؛ أمهَل الله له في طغيانه وأرخى له من زمامه ، حتى عثر في فَضْلِ خِطامِه ؛ فالآن أخذ القوسَ باريها ، وعاد النِّبَالُ إلى النَّزَعَة[2] ، وعاد الملكُ في نصابه ، في أهل بيتِ نبيِّكم ، أهل الرَّأفة والرحمة . والله إنْ كنَّا لنشهدُ لكم ونحن على فرشنا ، أمِن الأسودُ والأبيض . لكم ذِمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله وذمة العباس ، ها وربِّ[3] هذه البنيَّة لا نهيجُ أحداً . ثم نزل .

قال جرير : سمعتُ سالمَ بن أبي حفصة يطوفُ بالبيت وهو يقول :

لَبَّيْكَ مَهْلِكَ بني أُميَّة ، فأجازه داودُ بن عليّ بألف دينار .

---

(١) شناق القربة : علاقتها ، وكل خيط علِّقت به شيئاً شناق . (لسان) .

(٢) النزعة : الرماة ، يقال : عاد السهم إلى النزعة ، أي رجع الحق إلى أهله . (لسان) .

(٣) في الأصل (هارب) وما أثبتناه من تاريخ ابن عساكر .

مات داودُ بن علي سنة ثلاثٍ وثلاثين ومئة ، وهو والٍ على المدينة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة . وإنما أدرك من دولتهم ثمانية أشهر .

٨٠ ـ داودُ بنُ عُمَرَ بنِ حَفْص

حدّث بدمشق عن عمرو بن عثمان الحمصي بسنده عن أبي أُمامة عن النبيِّ ﷺ قال :

مَنْ أحبَّ لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان . وإنَّ أفاضلَكُمْ أحاسِنكُمْ أخلاقاً ؛ وإنَّ من الإيمان حُسْنَ الخُلُق .

٨١ ـ داودُ بنُ عَمْرو الأَوْديّ الدِّمَشْقي

عامل واسط .

حدّث عن بُسْر بن عبيد الله الحَضْرَميّ بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي

أنَّ رسولَ الله ﷺ أمر بالمسح على الخُفَّيْن في غزوة تبوك ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ، ويوم وليْلَة للمقيم .

وحدّث عن عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

إنكم تُدْعَوْنَ يومَ القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسِنوا أسماءكم .

[٦٨/أ]

٨٢ ـ داود بن عيسى بن علي

ابن عبد الله بن عباس الهاشمي

حدّث عن أبيه عن علي بن عبد الله عن ابن عباس قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إنَّ قول لاحولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله تدفَعُ عن قائلها تسعاً وتسعين باباً ، أدناها الهمّ .

وبه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إنَّ صدَقَةَ السِّرِّ تطفئُ غضبَ الربّ ، وإنَّ صلةَ الرَّحِم تزيدُ في العمر ؛ وإنَّ صنائع المعروف تقي مَصَارعَ السُّوء ؛ وإنَّ قولَ لا إلهَ إلاّ الله تدفَعُ عن قائِلها تسعةً وتسعين باباً من البلاء ، أدناها الهمّ .

وحدَّث داود عن أبيه عن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أنه قال :

دخلتُ يوماً على عمر بن عبد العزيز وعنده شيخٌ من النصارى ، فقال له عمر بن عبد العزيز : مَنْ تجدونَ الخليفةَ بعد سليمانَ بن عبد الملك ؟ قال له النصرانيّ : أنت ، فأقبل عمر بن عبد العزيز عليَّ فقال : دمي في ثيابك ياأبا عبد الله . قال محمد بن علي : فلما كان بعد ذلك جعلتُ ذلك النصراني من بالي ، فرأيتُه يوماً في الطريق ، فأمرتُ غلامي أن يحبسَهُ عليّ ، فذهبتُ به إلى منزلي وسألتهُ عمَّا يكون بعدَ خلفاء بني أُميَّة واحداً واحداً ، وتجاوز عن مروان بن محمد . قال : قلت له : ثم من ؟ قال : ثم ابنك ابن الحارثيَّة . قال داود بن عيسى : فأخبرَتْني مولاةٌ لنا ـ هي أثبَتُ للحديث مني ـ أنه قال : هو الآن حَمْل .

٨٣ ـ داودُ بنُ عيسى النَّخَعِيّ

من أهل الكوفة ، سكن دمشق .

حدَّث عن مَيْسَرةَ بسنده عن ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

مادعا عبدٌ بهؤلاء الكلمات لمريض إلاَّ شفاهُ الله ، إلاَّ مريض حضَرَ أجَلُه ، قَوْلُه : أسأل اللهَ العظيم ربَّ العرش العظيم أنْ يَشْفيَك . سبعَ مرَّات .

وحدَّث عن عاصم بن عُبيد الله عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبيِّ ﷺ قال :

مَنِ اشترى شاةً [٦٨/ب] لِدِرَّتِها حلبها ثلاثة أيَّام ، فهو بالخيار : إنْ شاء أمسك ، وإلاَّ ردَّ صاعاً من تمر .

٨٤ ـ داود بن فراهيج مولى سفيان بن زياد

من بني قيس بن الحارثِ بن فِهْر[1] ، المَدِينيّ

روى عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال :

مازال جبْريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه .

---

(١) في الأصل (فهد) بالدال وهو تصحيف . وما أثبتناه من « الجرح والتعديل » ٤٢٢/٣ و « جمهرة أنساب العرب » ص ١٧٦

وبه عن النبيِّ ﷺ قال :

الضيافةُ ثلاثة أيّام ، فما كان بعد ذلك فهو صَدَقة .

وبه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

صلاةٌ في مسجدي هذا خَيْرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواهُ من المساجد ، إلاَّ المسجد الحرام .

وعن داودَ بن فراهيج قال أبو غسَّان :

قدمنا معه الشام ، ومعنا رجلٌ من بني وعْلَةَ السَبَئِيّ ـ كان صاحبَ علمٍ وحكَم ـ فقال له داود : أنت رجلٌ شريف ، ألقَ هذا الرجل وتعرَّضْ له ـ يعني الوليد بن يزيد ـ فبالحَريِّ أنْ تردَّ علينا خيراً أو تجرَّ منفعة ، مع حظٍّ مثلك من الخلفاء ؛ فقال : إنَّه مقتول ؛ فقال داود : مَهْ ، لاتقل ذلك ، قال : نعم لتمامِ أربعين ليلةً من هذا اليوم ، وهو انقضاءُ خلافة العرب إلى قيام صاحب الوادي من آل أبي سفيان ، ثم تعود إلى الشام سنَتُهم حتى يكونوا أصحاب الأعماق . فقال داود بن فراهيج : سمعتُ أبا هريرة يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : صاحبُ الأعماقِ الذي يهزمُ اللهُ العدوَّ على يديه نَصر ، فقال : إنما سُمِّيَ نصراً لنصر الله [إياه][1] ، فأمّا اسْمُه فسعيد .

وثّقه قومٌ ، وضعّفه آخرون .

٨٥ ـ داود بن محمد المَعْيُوفيُّ الحَجُوريّ[2]

من قرية عين ثُرْما من غوطة دمشق .

حدَّث عن أبي عمرو المخزوميِّ بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :

القرآن أفضل من كل شيء دون الله ، ومَنْ قرأ القرآن فقد وقَّر الله ، ومَنِ استخفَّ بحقِّ القرآن [٦٩/أ] استخفَّ بحق الله ، وحُرْمةُ القرآن في التوراة وقار الله ، وحملةُ القرآن

---

(١) من التاريخ (س) ٢١/٦ أ .

(٢) في الأصل (الحجوزي) بالزاي وما أثبتناه من التاريخ (س) ومعجم البلدان (عين ثرماء) .

المخصوصون برحمة الله ، ومَنْ والاهم فقد والى الله ؛ يُدفَعُ عن مستمع القرآن بلاء الدنيا ، ويُدفع عن قارئ القرآن بلاء الآخرة . ثم قال : ياحَمَلة القرآن ، إنَّ أهل السماء يدعونكم . وذكر الحديث .

٨٦ ـ داود بن مروان بن الحكم بن أبي العاص

ابن أمية القرشيُّ الأمويّ

أدرك عصر الصحابة وداره بدمشق .

حدَّث عطاء قال :

أراد داودَ بنَ مروان [أن] يُجيزَ بين يدي أبي سعيد وهو يصلّي وعليه حُلَّةٌ له ، ومروان أمير المدينة فردَّه ، فكأنَّهُ أبى ، فلَهَدَهُ في صدره[1] ؛ فذهب الفتى إلى أبيه[2] فأخبره ، فدعا مروان أبا سعيد وهو يظنُّ أنما لَهَدَهُ من أجل حُلَّته قال : فذكر ذلك له ، فقال : نعم ، قال النبيُّ ﷺ اردُدْهُ ، فإنْ أبى فجاهِدْهُ .

٨٧ ـ داود بن نفيع ويقال : ابن نافع

العبسي

من أهل دمشق ، وهو عمُّ إبراهيم بن أبي شيبان .

قال داود بن نافع :

عدت عُبيد الله بن أبي المهاجر وابن أبي زكريا ، قال : فقال له بعضُ القوم : أبشرْ يا أبا الوليد ؛ فقال : ما استعفيت الله من شكوى أصابتني منذُ عقلت ، ولا لقيتُ أحداً إلاَّ بالذي في نفسي .

---

(١) لهده : دفعه في صدره بشدَّة . (لسان) .

(٢) في الأصل (أخيه) وما أثبته من التاريخ (د) .

٨٨ ـ داودُ بنُ الوسيمِ بن أيُّوبَ بنِ سُليمان

أبو سليمان البُوشَنْجيّ

سمع بدمشق .

حدَّث عن عبد الرحمن بن الحسن الدمشقيّ [٦٩/ب] بسنده عن بَهْزِ بن حكيم عن أبيه عن جدّه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :

وَيْلٌ للذي يحدّثُ ويكذبُ فيُضْحِكُ القوم ، وَيْلٌ له ، وَيْلٌ له . مرّتين .

وحدّث عن أبي عبد الله أحمد بن عبد الواحد الدمشقيّ بسنده عن مُعَاذ عن أنس عن رسولِ الله ﷺ قال :

مَن أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذي رزقنيه من غير حَوْلٍ مني ولا قُوَّة غُفِرَ لهُ ماتقدَّم من ذنبه ، ومَنْ لبس ثوباً فقال : الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حَوْلٍ مني ولا قوَّة غُفِرَ له ماتقدَّمَ من ذنبه .

٨٩ ـ داود بن يزيد بن معاوية

قال ابنُ عائشة :

كتب ملكُ الروم إلى عبد الملك بن مروان : إنك أحدَثْتَ في القراطيس ما لم يَكُنْ ؛ ولئنْ لم تنتهِ عن ذلك لأشْتُمَنَّ نبيَّك ـ ﷺ ـ في كلِّ ما يعمل في مملكتي . فأهمَّ ذلك عَبْدَ الملك فدخل عليه داودُ بن يزيد بن معاوية ، فرآه مهموماً بما ورد عليه ؛ فقال له : اضربْ دنانيرَ ودراهمَ أنْقص من دنانيره ، وأثبتْ فيها اسْمَ رسولِ الله ﷺ ليُسْتَغْنَى بها عمَّا يُضْرَبُ عنده . ففعل ؛ وكان ذلك في سنة سبعين .

ولا يؤخَذُ شيءٌ مؤرَّخٌ بما قبل السبعين من الدنانير والدراهم العربية .

شكَّ فيه الحافظ[1] ؛ قال : والصواب خالد بن يزيد .

---

(١) إذ قال في التاريخ (س) ٢٢/٦ ب : لم أجد ذكر داود هذا في كتاب النسب ، وهو تصحيف ، والصواب خالد بن يزيد .

٩٠ ـ دِثار بن الحارث النَّهْديُّ الكوفي

وفد على عمر بن عبد العزيز .

حدَّث عن سليمان بن صُرَد قال : قال عليٌّ عليه السلام يومَ الجمل :

ليتني متُّ قبل هذا بعشرين . قال ابن عمار : أراهُ قال : سنة .

قال عمر بن ذرّ :

قدمنا على عمر بن عبد العزيز خمسة : موسى بن أبي كثير ، ودثار النَّهْدي ، ويزيد الفقير ، والصَّلْت بن بهرام [٧٠/أ] وعمر بن ذرّ ؛ فقال : إنْ كان أمْرُكم واحداً فليتكلَّمْ متكلمكم ؛ فتكلم موسى بن أبي كثير ـ وكان أخوف ما يتخوَّف عليه أنْ يكونَ عرض بشيءٍ من أمْر القدَر ـ قال : فعرض له عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لو أراد الله أنْ لا يُعصى لم يخلق إبليس وهو رأس الخطيئة ، وإنَّ في ذلك لَعلماً من كتاب الله عزَّ وجل ، علمه مَنْ علمه ، وجهلَه من جهلَه ؛ ثم تلا هذه الآية : ﴿ فإنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِيْنَ ، إلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيْمِ ﴾[1] ثم قال : لو أنَّ الله عزَّ وجل حمَّل خلقه من حقِّه على قدر عظمته لم يُطِقْ ذلك أرضٌ ولا سماء ، ولا ماءٌ ولا جبل ، ولكنه رضي من عباده بالتخفيف .

٩١ ـ دَحْمَان الجمَّال

قدم الشام ، واستقدمه بعد ذلك الوليد بن يزيد .

قال أبو محمد العامريّ :

كان دَحْمَان جمَّالاً يكري إلى المواضع ويتَّجر ، وكان له مُروءة ؛ فبينا هو ذات يوم قد أكرى جماله وأخذ ماله ، إذْ سمع رَنَّةً[2] ! فقام واتَّبع الصوت ، فإذا جارية قد خرجت

---

(١) سورة الصافات ١٦١/٣٧ ـ ١٦٣

(٢) الرنة : الصيحة الحزينة .

تبكي ، فقال لها : أمملوكةٌ أنت ؟ قالت : نعم ؛ قال : لمن ؟ قالت : لامرأةٍ من قريش ـ ونسبَتْها له ـ فقال لها : أتبيعُك ؟ قالت : نعم . ودخلَتْ على مولاتها فقالت : هذا إنسانٌ يشتريني ؛ قالت : ائْذَني له ، فدخل فساومَها بها حتى استقرَّ الأمر بينهما على مئتي دينار ، فاشتراها ونقدَها الثمن ، وانصرف بالجارية .

قال دَحْمان : فأقامَتْ عندي مُدَّةً أطارحُها ويطارحها مَعْبَد وغَيْرُه من المغنين ؛ ثم خرجْتُ [بها][1] بعد ذلك إلى الشام وقد حَذِقَتْ ، فكنتُ لاأزال أنزل ناحيةً وأعتزلُ بالجارية في مَحْمِل ، وأطرحُ على المَحْمِل أعْبيةً[2] وأجلس أنا وهي تحت ظِلِّها ، ثم أخرج شيئاً آكله ؛ وتتغنَّى حتى نرحل . فلم نزَلْ كذلك حتى قربنا من الشام ؛ فبينا أنا ذات يوم نازلٌ وأنا ألقي عليها لحني : [من الطويل]

[٧٠/ب] فإني لآتي البيتَ ما إنْ أُحِبُّهُ ... وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وهو حبيبُ
وأُغْضي على أشياءَ منكم تسوءُني ... وأُدْعَى إلى ما سَرَّكم فأجيبُ[3]

ورددْتُه عليها حتى حفظَتْهُ واندفعَتْ تغنيه ، وإذا براكبٍ قد أقبل ، فسلَّم علينا وقال : أتأذنونَ لي أن أنزلَ تحت ظِلِّكم ساعة ؟ قلنا : نعم ، فنزل ، وعرضتُ عليه الطعام فأجاب ، واستعاد الصوت مراراً ، ثم قال للجارية : أتروينَ لِدَحْمَان شيئاً من غنائه ؟ قالت : نعم ، قال : فغنِّيني صوتاً ؛ فغنَّتْهُ أصواتاً من صنعتي ، وغَرَّتُها ألاَّ تعرِّفيه أني دَحْمَان ؛ فطرب وامتلأ سروراً ، حتى قرب وقتُ الرحيل ، فأقبل عليَّ وقال : أتبيعُني هذه الجارية ؟ قلتُ : نعم ، قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار . قال : قد أخذتُها ، فهَلُمَّ دواةً وقرطاساً فجئتهُ بذلك ، فكتب فيه : ادْفَعْ إلى حامل هذا الكتاب ساعة تقرأه عشرةَ آلاف دينار وتسلَّمْ منه الجارية ، واستعلمْ مكانه وعَرِّفْنيه ، واستوصِ به خيراً . وختم الكتاب ودفعه إليَّ وقال : إذا دخلْتَ المدينة ، فسَلْ عن فلان فاقبِضْ منه المال وسلِّمْ

---

(١) مابين معقوفين من « الأغاني » ١٤٣/٥ ط بولاق .

(٢) أعبية : جمع عبا ، وعباءة ، وهو ضرب من الأكسية . (لسان) .

(٣) البيتان للأحوص ، وهما في الأغاني ١٤٦/٥ ط بولاق والخبر فيه إلا أنه أورد بيتين غيرهما . انظر الجزء نفسه ص ١٤٢ ، ١٢٣ . وهما في ديوانه ص ٧٧

إليه الجارية . ثم ركب . فلما أصبحنا ، دخلنا المدينة ، فحطَطْتُ رَحْلي وقلتُ للجارية : الْبَسي ثيابك وقومي معي . وأنا لا أطمع في ذلك ، ولا أظنُّ الرجل إلاَّ عابثاً . فقامت معي ، فخرجتُ بها وسألتُ عن الرجل فدُللتُ عليه ، وإذا هو وكيلُ الوليد بن يزيد ، فأوصلتُ إليه الكتاب . فلمَّا قرأه وثب قائماً وقبَّله وقال : السمع والطاعة لأمير المؤمنين . ثم دعا بعشرة آلاف دينار ، فسُلِّمتْ إليَّ وأنا لا أصدِّقُ أنها لي ؛ فقال لي : أقم حتى أُعلِمَ أميرَ المؤمنين خبرك ، فقلتُ له : حيث كنت فأنا ضيفُك ، وقد كان أمر لي بمنزل . وكان بخيلاً . قال : وخرجت ، فصادفتُ كرّاً[1] [٧٧١أ] فقضيت حوائجي في يومي وغدي ورحلت . وذكرني صاحبي بعد أيام ، فسأل عني وطلبني ، فعرف برحيلي فأمسك ، ولم يذكرني إلاَّ بعد شهر : فقال لها وقد غنَّتْهُ صوتاً من صنعتي : لمن هذا ؟ قالت : لدَحْمان ، قال : وددْتُ أني رأيتُه وسمعت غناءه ، فقالت : قد رأيتهُ والله وسمعتَ غناءه . قال : لا والله ، ما رأيتُهُ قطُّ ولا سمعتُه . قالت : بلى ، والله قد رأيته وسمعتَ غناءه ؛ فغضب وقال : أنا أحلف أني لم أره ولم أسمعه وأنت تعارضيني وتكذبيني ؛ قالت : إنَّ الرجلَ الذي اشتريتَني منه دَحْمان ، قال : وَيْحَك ! فهلاَّ أعلمتِني ؟ قالت : نهاني عن ذلك ، قال : وإنه لهو ، والله لأُجَثِّمَنَّهُ السفر ، ثم كتب إلى عامل المدينة يُحْمَلُ إليه . فَحُمل ولم يزَلْ أثيراً عنده .

٩٢ ـ دِحْيَةُ[2] بن خليفة بن فَرْوَة بن فَضَالة

ابن زيد بن امرئ القيس بن الخَزْرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن بكر
ابن زَيْدِ اللات بن رُفَيْدَة بن ثَوْر بن كلب بن وَبَرَة بن تَغْلِب
ابن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعَةَ الكلبيّ

له صُحْبة ، وهو الذي كان جبريل عليه السلام يأتي سيدنا رسولَ الله ﷺ في صورته . وبعثه سيدنا رسولُ الله ﷺ بكتابه إلى قيصر ، فأوصله إلى عظيم بصرى ؛ وشهد

---

(١) كذا في الأصل وأصل التاريخ ولعلها (كرياً) الذي يكري دابته .

(٢) ويقال بفتح الدال كما في التبصير ص ٥٥٨ وكما سيوضحه المصنف بعد قليل .

اليرموك ، وكان أميراً على كُرْدوس[1] ؛ وسكن دمشق بعد ذلك ، وكان منزله بالمِزَّة[2] .

حدّث دِحْيَةُ قال :

قلت : يا رسولَ الله ، ألا أحملُ لك حماراً على فرس فينتج لك بغلاً ؟ قال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون .

وعن منصور الكلبي

أنَّ دِحْيَةَ بن خليفة خرج من قريته بدمشق المِزَّة إلى قَدْر قريةِ عقبة من الفُسْطاط ، وذلك ثلاثة أميال ، في رمضان ، ثم إنه أفطر وأفطر معه أناسٌ ، وكره آخرون أن يفطروا ؛ فلمَّا رجع إلى قريته [٧١ / ب] قال : والله لقد رأيتُ اليومَ أمْراً ما كنتُ أظنُّ أني أراه ؛ إنَّ قوماً رغبوا عن هَدْيِ رسول الله ﷺ وأصحابه ـ يقولُ ذلك للذين صاموا ـ ثم قال عند ذلك : اللهمَّ اقبضني إليك .

وعن دِحْيَةَ بن خليفة أنه قال :

أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بقَباطيّ ، فأعطاني منها قُبْطِيَّةً[3] فقال : اصْدَعْها صدعَيْن فاقطَعْ أحدهما قميصاً ، وأعْطِ الآخر امرأتَكَ تَخْتمِر به . فلمَّا أدْبَر قال : وأْمُرِ امرأتَكَ تجعلْ تحته ثوباً لا يصِفُها .

أسلم دِحْيَةُ قديماً قبل بدر ، ولم يشهدْها . وكان يُشْبِهُ بجبريل . وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهدَ بعد بدر . وبقي إلى زمن معاوية بن أبي سفيان .

وكان سيِّدُنا رسولُ الله ﷺ بعثه إلى قيصر ؛ وفيه نزلَتْ : ﴿ وإذا رأَوْا تجارةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إليها ﴾[4] .

---

(١) الكردوس : القطعة من الخيل العظيمة . (لسان) .

(٢) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، من جهة الغرب ، وأصبحت اليوم متصلة البناء بها . انظر معجم البلدان .

(٣) القبطية : واحدة القباطي ، وهي ثياب كتان بيض رقاق ، تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القبط . (لسان) .

(٤) سورة الجمعة ٦٢/١١

قال ابن ماكولا[1] : خَزْج ، بخاءٍ معجمةٍ مفتوحة ، وزاي ساكنة ، وجيم ؛ واسمه زيد ، وإنما سُمِّيَ الخَزْجَ لعظم لَحْمه[2] ؛ وفي كتاب ابن سعيد : دَحْية ، بفتح الدال .

وعن دِحْية الكلبي قال :

قدِمتُ من الشام فأهديتُ إلى النبيِّ ﷺ فاكهة يابسةً من فُسْتُق ولَوْز وكعك ، فوضعتُه بين يديه فقال : اللهمَّ ، ائْتِني بأحبِّ أهلي إليك ـ أو قال : إليّ ـ يأكلُ معي من هذا . فطلع العباس ، فقال : ادْنُ يا عم ، فإني سألتُ الله أنْ يأتيَني بأحبِّ أهلي إلي ـ أو إليه ـ يأكلُ معي من هذا فأتيت . قال : فجلس فأكل .

وعن دِحْية الكلبيِّ قال :

أهديتُ لرسول الله ﷺ جُبَّةَ صوف وخُفَّين ، فلبسها حتى تخرَّقا ، ولم يسَلْ عنهما ذكيتا أم لا .

قال خليفةُ بن خيَّاط :

في سنة خمس بعث النبيُّ ﷺ دِحْيَة بن خليفة إلى قيصر ، في الهُدْنَة[3] . [٧٢ / أ]

قال دِحْية الكلبي :

بعث النبيُّ ﷺ معي بكتابٍ إلى قيصر ، فقمت بالباب فقلت : أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ ، ففزعوا لذلك ، فدخل عليه الآذِن فقال : هذا رجلٌ بالباب يزعم أنه رسولُ رسولِ الله ﷺ ؛ فأذِنَ لي ، فدخلتُ عليه ، فأعطَيْتُه الكتاب فقُرئ عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسولِ الله إلى قيصرَ صاحبِ الروم ، فإذا ابْنٌ أخٍ له أحمر أزرق سَبْطُ الشعر ، قد نخَرَ[4] ثم قال : لَمْ لَمْ يكتب : إلى ملك الروم ولم يبدأ بك ؟! لاتقرأ كتابه اليوم . فقال لهم : اخْرُجوا ؛ فدعا الأُسْقُفَّ ، وكانوا يصدرونَ عن رأيه ويقبلون قوله . فلمَّا قُرئ عليه الكتاب

---

(١) الإكمال ١٤٣/٣

(٢) وفي موضع آخر قال : لعظم بطنه انظر المصدر السابق ٣١٤/٣

(٣) المعروف أن الهدنة كانت في آخر سنة ست كما في سيرة ابن هشام ٣٠٨/٢ و ٦٠٧ ، ولا يدل سياق الخبر في تاريخ خليفة ص ٧٩ ـ بتحقيق د. العمري ـ على أن بَعْثَ دحية كان في سنة خمس ، إذ ذكره ضمن حوادث سنة ست ، وما نقله المصنف من قول خليفة هو مانقله الذهبي في « السير » ٥٥٥/٢ ونبه إلى ذلك ، ونبه إليه أيضاً وغلطه ابن حجر في الفتح ٣٥/١

(٤) نخر : مد الصوت والنفس بخياشيم .

قال : هو والله رسولُ الله الذي بشَّرَنا به موسى وعيسى ، هو والله رسولُ الله الذي بشَّرَنا به موسى وعيسى ، هو والله رسولُ الله الذي بشرنا به موسى وعيسى ؛ قال : فأيُّ شيءٍ ترى ؟ قال : أرى أنْ تتبعَه . قال قيصر : وأنا أعلَمُ ما تقول ، ولكنْ لا أستطيعُ أنْ أتبعَه ، يذهبُ ملكي ويقتلُني الروم .

وفي حديث آخر عنه قال :

وجَّهني النبيُّ ﷺ إلى ملك الروم بكتابه وهو بدمشق ؛ فناولتُه كتابَ النبيِّ ﷺ ، فقبَّل خاتَمَهُ ووضعه تحت شيءٍ كان عليه قاعدا ، ثم نادى ؛ فاجتمع البطارقة وقومُه ، فقام على وسائد بُنيَتْ له ـ وكذلك كانت فارس والروم لم يكن لها منابر ـ ثم خطَب أصحابَهُ فقال : هذا كتاب النبيِّ الذي بشَّرَنا به المسيحُ من ولد إسماعيلَ بنِ إبراهيم ؛ قال : فنَخروا نخرةً ، فأومى بيده أن اسكتوا ، ثم قال : إنما جرَّبْتُكم كيف نصرتكم للنصرانية . قال : فبعث إليَّ من الغد سِرّاً ، فأدخلني بيتاً عظيماً فيه ثلاث مئة وثلاث عشرة صورة ، فإذا هي صور الأنبياء المرسلين . قال : انظُرْ أين صاحبُكَ من هؤلاء ؟ قال : فرأيتُ النبيَّ ﷺ كأنه ينطق ، قلتُ : هذا ، قال : صدقت ؛ فقال : صورة من هذا عن يمينه ؟ [٧٢ / ب] قلت : رجل من قومه يقالُ له أبو بكر الصديق قال : فمن ذا عن يساره ؟ قلت : رجل من قومه يقال له عمر بن الخطاب ؛ قال : أما إنه نجدُ في الكتاب أنَّ بصاحبيه هذين يتمُّ الله هذا الدين . فلما قدمتُ على النبيِّ ﷺ أخبرتُه فقال : صدق ، بأبي بكرٍ وعمرَ يتمُّ الله هذا الدينَ بعدي ويفتح .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

رأيتُ رسولَ الله ﷺ واضعاً يده على مَعْرفَةِ فرسِ دِحْيَةَ الكلبي وهو يكلمه ، قالت[1] : قلت : يارسولَ الله ؛ رأيتك واضعاً يدك على مَعْرَفَةِ فرسِ دِحْيَة الكلبي وأنت تكلِّمه ، قال : أورأيتيه ؟ قالت : نعم ، قال : ذاك جبريل ، وهو يقرئكِ السلام . قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، جزاه الله من صاحبٍ ودخيل خيراً ، فنعم الصاحبُ ونعم الدخيل .

---

(١) في الأصل (قال) وما أثبتناه من التاريخ (س) ٢٧/٦ ب . و (د) .

قال : الدخيل : الضيف .

وفي حديث آخر بمعناه قال :

ذاك جبريل ، أمرني أنْ أمضيَ إلى بني قُرَيظة .

وعن أبي هريرة قال :

قدم دِحْيَةُ الكلبيُّ المدينة ـ وكان جميلاً ـ فخرج ناسٌ يوم الجمعة من المسجد والنبيُّ ﷺ يخطب يسألون عن السعر ، وخرج جَوَارٍ من جواري المدينة يضربْنَ بدفوفهنّ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وإذا رأَوْا تجارةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إليها وتركوكَ قائماً ﴾[1] .

قال رجلٌ لعَوَانةَ بن الحكم :

أجَلُّ الناسِ جرير بن عبد الله ؛ قال له عوانة : أجمل الناس مَنْ نزل جبريلُ على صورته ـ يعني دِحْيَةَ الكلبي .

وفي حديث ابن عباس أنه قال :

كان دحيةُ إذا قدِم لم تبقَ مُعْصِرٌ[2] إلاَّ خرجَتْ تنظرُ إليه لجماله . وإذا خرج المعاصر وهنَّ يُحجَبْنَ ويُمنعْنَ من الخروج كان النساءُ أحرى بالخروج .

وأما ماروي أنَّ دِحْيةَ الكلبيَّ أسلم في زمنِ أبي بكر رضي الله عنه فإنه مُنْكَر ؛ ولو لم يكن دحيةُ مسلماً في عهد النبيِّ ﷺ لم يبعَثْهُ سريَّةً وحده ، ولا كان جبريلُ عليه السلام يتشبَّهُ في صورته . والله أعلم .

[٧٣/أ]

٩٣ ـ دُحَيْم بن عبد الجبَّار بن دُحيم

ابن محمد بن دُحيم ، أبو الحسن العَنْسيُّ الدارانيّ

حدَّث عن أبي الحسن علي بن بكر بسنده أنَّ أبا بكرٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إذا شهدوا أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، عصموا مني دماءهم وأموالهم .

---

(١) سورة الجمعة ١١/٦٢ وانظر « أسباب النزول » للواحدي ص ٣٢٠

(٢) المعصر : الفتاة التي بلغت عصر شبابها وأدركت . (لسان) .

٩٤ ـ دَرَّاج بن سمعان

ويقال اسمه عبد الرحمن ، ودَرَّاج لقب ، أبو السَّمْح المصري

حدَّث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسولُ الله ﷺ :

الجنَّةُ مئة درجة ، فلو أنَّ الناس كُلَّهم في درجةٍ واحدة لوَسِعَتْهم .

وحدَّث عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء قال : قال رسولُ الله ﷺ :

إنَّ في النار لحيَّاتٍ مثلَ أعناقِ البُخْت[1] ، تلسَعُ أحدَهم اللسعة يجد حُمُوَّتَها أربعين خريفاً ؛ وإنَّ في النار لعقاربَ أمثالَ البغالِ المُوكَفَة ، تلسَعُ أحدَهُم اللسعةَ يجدُ حُمُوَّتَها أربعين خريفاً .

وحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخُدْريِّ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

أصْدَقُ الرُّؤْيا بالأسْحار .

وعنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

الشتاءُ ربيعُ المؤمن .

وعنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

أكثِرُوا ذِكْرَ الله حتى يقولوا مجنون .

قال أبو السَّمْح :

كنتُ بالشام أطلُب العلم ، فآواني الليلُ إلى رُفيقة طبخوا قدراً لهم ، فتعشَّيْتُ معهم ، فقاموا إلى صلاة من غير وضوء ؛ فأنكرتُ ذلك عليهم وقلت : أكلتم طعاماً قد مسَّتْهُ النار لاتتوضَّؤُونَ منه ؟ ! فقال رجلٌ منهم : ترى مَنْ ترى هاهنا ، ليس منهم رجلٌ إلاَّ وقد بايع رسولَ الله ﷺ ، لا يتوضَّؤُونَ ممَّا مسَّتِ النار .

---

(١) البخت : الجمال طوال الأعناق .

قال أبو السَّمْح :

أدركتُ زماناً إذا سمعنا بالرجل قد جمع القرآن حججنا إليه فنظرنا إليه .

وثَّقَهُ قومٌ ، وضعَّفه الأكثرون .

تُوفي في سنة ست وعشرين ومئة . وكان يقصُّ بمصر .

[٧٣ / ب] ٩٥ ـ دِرْباس بن حبيب بن دِرْبَاس

ابن لاحق بن مَعَدّ بن ذُهْل ، ويقال : دِرْوَاس بن حبيب بن درواس[١]

وفد على هشام بن عبد الملك .

حدَّث الأصمعيّ عن أبي عَمْرو بنِ العلاء المُقْرئ قال : سمعتُ عاصم بن الحَدَثان يُحدِّثُ

أنَّ البادية قحطَتْ زمَن هشام بن عبد الملك ، فقدِمَتْ وفودُ العرب من القبائل ؛ فجلس هشام لرؤسائهم ، فدخلوا عليه وفيهم درباسُ بن حبيب وله أربعَ عشرةَ سنة ، عليه شملتان ، له ذؤابة ، فأحجم القوم وهابوا هشاماً ، فوقعَتْ عين هشام على درباس فاستصغره فقال لحاجبه : ما يشاء أحَدٌ يصلُ إليَّ إلاَّ قد وصل حتى الصبيان ! فعلم درباس أنه يريده ، فقال ياأمير المؤمنين ، إنَّ دخولي لم يضرَّك ولا أنقصك ولكنَّه شرَّفني ، وإنَّ هؤلاء قدِمُوا لأمْرٍ فأحجموا دونه ؛ وإنَّ الكلام لنَشر ، وإنَّ السكوت طيٌّ لا يُعرف إلاَّ بنشره ؛ قال : فانشُرْ لاأبالك ـ وأعجبه كلامُه . فقال : إنه أصابَتْنا سنون ثلاث ، فسنةٌ أكلتِ اللحم ، وسنةٌ أذابتِ الشحم ، وسنةٌ أنْقَتِ العظم[٢] ؛ وفي أيديكم فضولُ أموال ، فإنْ كانت لله عزَّ وجلّ ففرِّقوها على عباد الله ، وإنْ كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإنْ كانت لكم فتصدَّقوا بها ، فإنَّ الله عزَّ وجل يجزي المتصدِّقين ، ولا يضيعُ أجْرَ المحسنين ، ياأميرَ المؤمنين ، أشهدُ

---

(١) وفي « الأخبار الموفقيات » ص ١٤٧ : درواس بن دروان العجلي .

(٢) في الأصل بإهمال النون وفي التاريخ بالباء ، ورواية الزبير بن بكار في « الأخبار الموفقيات » ص ١٤٧ : (فهاضت العظم ونقتِ المخ) ، وهي الرواية الثانية عند ابن عساكر في التاريخ ٣١/٦ ب ، وفي اللسان : نَقَى العظمُ نَقْياً : استخرج نِقْيَه ، أي مُخَّه . وانظر عيون الأخبار ٣٣٨/٢

بالله لقد سمعتُ أبي حبيب بن درباس بن لاحق يحدّث عن أبيه عن جدّه لاحق بن مَعَدّ بن ذُهْل أنه وفد إلى رسول الله ﷺ فسمعه يقول :

كلكم راعٍ ، وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيته ، وإنَّ الوالي من الرعيَّة كالرُّوح من الجسَد ، لاحياة له إلاَّ بها . فاحفَظْ مااسترعاك الله عزَّ وجلَّ من رعيَّته . فقال هشام : [٧٤ / أ] سمعاً لمن فهم عن الله وذكَّر به ؛ ثم قال هشام : ماترك الغلامُ في واحدةٍ عُذْراً . ثم أمر أنْ يُقْسَم في أهل البوادي ثلاث مئة ألف ، وأمر لدِرْبَاس بمئة ألف درهم ، فقال : ياأمير المؤمنين ، اردُدْها إلى جائزة المسلمين فإني أخافُ أنْ تعجزَ عن بلوغ كفايتهم ؛ قال : فمالك حاجة ؟ قال : تقوى الله عزَّ وجلَّ ، والعمل بطاعته ؛ قال : ثم ماذا ؟ قال : مالي حاجةٌ في خاصَّة نفسي دون عامَّة المسلمين .

وفي حديث آخر بمعناه

أنه أمر له بمئة ألف درهم ، فقال : ياأمير المؤمنين ، أَلِكُلِّ رجلٍ منا مثلها ؟ قال : لا ، قال : لاحاجةَ لي فيها ، تبعث عليَّ صدقة[1] . فلمَّا صار إلى منزله بعث إليه بالمئة ألف درهم ،ففرق درواس في تسعة أبطنٍ من العرب حوله عشرة آلاف عشرة آلاف ، وأخذ لنفسه عشرة آلاف . فقال هشام : إنَّ الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع .

٩٦ - درباج[2] بن أحمد بن محمد بن المُرَجَّى

أبو الحسن السلمي الشاهد الدمشقي

روى بدمشق عن أحمد بن محمد بن سليمان الدمشقي بسنده عن أبي شجرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

الإسلام ثلاث مئة وستون شريعة . مَنْ أتى الله عزَّ وجلَّ بخصلةٍ منها دخل الجنة .

---

(١) رواية الزبير في الأخبار الموفقيات ٤٧ : « لاحاجة لي فيما يبعث عليَّ مذمَّة » .

(٢) حق هذه الترجمة أن يأتي ترتيبها قبل الماضية .

وحدّث عن أبي الحسن بن أبي الحديد بسنده عن أنس بن مالك قال :

ما صلّيْتُ خلف إمامٍ قطُّ أخفَّ ولا أتمَّ من رسولِ الله ﷺ .

تُوفي درباج في سنة خمس مئة . وقيل : في سنة ستٍ وتسعين وأربع مئة .

٩٧ ـ دِرْعُ بن عبد الله أبو الخير الزُّهَيريّ

حدّث عن أبي القاسم علي بن عبد الله المقرئ بسنده عن عروة بن الزُّبير

أنَّ رجلاً قال : سألتُ عائشة عن الرجل يقبّلُ امرأتَه ، أيعيد الوضوء ؟ فقالت : قد كان رسولُ الله ﷺ يقبّلُ بعض نسائه ثم لا يعيد [٧٤ / ب] الوضوء . قال : فقلت لها : لأنْ كان ذلك ما كان إلاّ منك ؟ قال : فسكتَتْ .

٩٨ ـ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة بن بكر

ابن علقمة بن خُزَاعة بن غَرِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور ـ وفيه خلاف ـ أبو قُرَّةَ الجُشَميّ[1]

واسْمُ الصِّمَّة معاوية . وفَدَ على الحارث بن أبي شَمِر ، المعروف بابن جَفْنَة الغسَّانيَ .

خطب دُريد بن الصِّمَّة الخنساءَ ابنة عمرو بن الشَّريد فلم تجبْهُ فقال فيها من أبيات : [من الوافر]

كفاكِ اللهُ يابْنَةَ آل عَمْرٍو ... مِنَ الفتيانِ أمثالي ونفسي

أتزعُمُ أنني شيخٌ كبيرٌ ... وهل أنبأتُها أنّي ابنُ أمْسِ[2] ؟

كانت له أيّامٌ وغارات ، وكان من فرسان قيس المعدودين ؛ أحضره مالك بن عوف النَّصْريّ يوم حُنين معه فقُتل كافراً .

---

(١) في الأصل : (الخَثَعي) وهو تصحيف ، وما أثبتناه من ابن عساكر واللباب ٢٢٨/١ وجمهرة الأنساب ص ٢٧٠

(٢) البيتان في ديوان دريد ص ٨٢ ، ٨٣

حدّث المَدائنيّ قال : قال دُريد بنُ الصِّمّة :

كفى بالمروءة صاحباً ، ومَنْ كانت له مروءة فَلْيُظْهِرْها ، وقومُه أعلم به .

روى هشامُ بن محمد الكلبيّ :

أنّ دريد بن الصمة خطب الخنساءَ بنت عمرو إلى أخويْها صَخْرٍ ومعاوية ، فوافقها وهي تَهْنَأُ إبلاً لها[1] ، فاستأْمَرها أخواها فيه ؟ فقالت : أترونني تاركةً بني عمي كأنهم عوالي الرماح ، ومُرْتَثّةً[2] شيخَ بني جُشَم ؟! قال : فانصرف دُريد وهو يقول : [من الكامل]

مـــا إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بـــهِ ... كاليـــومِ هـــــاني أيْنُـــقٍ صُهْب

مُتَبـــذِّلاً تبـــدو محـــاسِنُـــه ... يضَـعُ الهِنَـاءَ مـواضـعَ النُّقْبِ[3]

قالوا : وعاش دُريد بن الصِّمّة نحواً من مئتي سنة حتى سقط حاجباه على عينيه . وأدرك الإسلام ولم يسلم ؛ وقُتل يوم حُنَين ، وإنما خرجَتْ به هوازن تتيمَّنُ به .

وإنه لَمّا كبر أراد أهلُهُ أن يحبسوه ، وقالوا : إنا حابسوك ومانعوك من الكلام مع الناس ، وقد خشينا أنْ تُخلِّط فيروي ذلك الناس علينا [٧٥ / أ] ويرَوْنَ منك علينا عاراً فقال : أوقد خشيتم ذلك مني ؟ قالوا : نعم ، قال : فانحروا جَزُوراً واصنعوا طعاماً واجمعوا لي قومي حتى أُحدثَ إليهم عهداً ؛ فنحروا جَزُوراً وعملوا طعاماً ، ولبس ثياباً حساناً وجلس لقومه ؛ حتى إذا فرغوا من طعامهم قال : اسمعوا مني ، فإني أرى أمري بعد اليوم صائراً لغيري ، قد زعم أهلي أنهم قد خافوا عليَّ الوَهْم ، وأنا اليوم خبير بصير ، إنّ النصيحة لاتهجمُ على فضيحة . أمّا أوّلُ ماأنهاكم عنه فأنهاكم عن محاربة الملوك ، فإنهم كالسَّيْل بالليل ، لاتدري كيف تأتيه ولا من أين يأتيك ؛ وإذا دنا منكم الملك وادياً فاقطعوا بينكم وبينه واديين ؛ وإنْ أجدبتم فلا ترعَوْا حِمَى الملوكِ وإنْ أذِنوا لكم ، فإنّ مَنْ يرعاه غانماً لم يرجع سالماً ؛ ولا تَحْقِرُنّ شرّاً ، فإنّ قليلَهُ كثير ؛ واستكثروا من الخير ، فإنّ زهيدَهُ كثير . اجعلوا

---

(١) تهنأ : تطليه بالهناء وهو القطران . (لسان) .

(٢) يقال : ارتُثّ فلان : أي حُمل من المعركة جريحاً وبه رمق . أرادت أنه قد أسن وقرب من الموت وضعف ، فهو بمنزلة من حُمل من المعركة وقد أثبتته الجراح . (لسان) .

(٣) النقب : القطع المتفرقة من الجرب ، الواحدة نَقْبة . والبيتان في الديوان ص ٣٤

السلام محياة بينكم وبين الناس . ومن خرقَ ستركم فارقعوه ، ومن حاربكم فلا تُغفلوه ، ورَوْا منه ما يرىٰ منكم ، واجعلوا عليه حدَّكم كُلَّه ؛ ومن تركككم فاتركوه ؛ ومن أسدىٰ إليكم خيراً فأضعفوه له ، وإلاَّ فلا تعجزوا أنْ تكونوا مثله . وعلى كلِّ إنسانٍ منكم بالأقرب إليه ، يكفي كلَّ إنسانٍ ما يليه ؛ إذا التقيتم على حسَب فلا تواكَلُوا فيه ؛ وما أظهرتم من خير فاجعلوه كبيراً ولا يُرىٰ رِفْدُكم صغيراً . ولا تنافسوا السُّؤْدُد ، وليكنْ لكم سيِّد ، فإنه لابُدَّ لكلِّ قومٍ من شريف . ومن كانت له مروءةٌ فليُظْهِرْها ، ثم قومَه أعلم ، وحَسْبَهُ بالمروءة صاحباً . ووسِّعُوا الخيرَ وإنْ قلّ ، وادْفِنُوا الشرَّ يَمُتْ . ولا تُنْكِحوا دنيئاً من غيركم ، فإنه عارٌ عليكم . ولا يحتشِمَنَّ شريفٌ أنْ يرفع وضيعه بأياماه[1] . وإيَّاكم والفاحشة في النساء ، فإنها عارٌ أبَدٍ ، وعقوبةُ غدٍ . وعليكم [٧٥ / ب] بصلةِ الرَّحِم فإنها تعظِمُ الفضل ، وتزين النَّسْل ؛ وأسلموا ذا الجَريرة بجَريرته ؛ ومَنْ أبىٰ الحقَّ فأعلقوهُ إيَّاه ؛ وإذا عُنيتم بأمر فتعاونوا عليه تبلُغوا . ولا تُحضِروا ناديَكم السفيه ؛ ولا تلجُّوا بالباطل فيلجَّ بكم[2] .

وفي ذِكْر قصة اجتماع هوازن لحرب سيدنا رسولِ الله ﷺ بحُنَين قالوا :

وحضرها دُرَيد بن الصِّمَّة ، وهو يومئذٍ ابنُ ستين ومئة سنة ، شيخٌ كبير ليس فيه شيءٌ إلاَّ التيُّن به ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مُجرِّباً ، وقد ذهب بصره يومئذ ؛ وجماعُ الناس ثقيف وغيرها من هوازن إلى مالك بن عوف النَّصْريّ . فلما أجمع مالك المسير بالناس إلى رسولِ الله ﷺ أمر الناس فجاؤوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوْطاس[3] ، واجتمع الناس به ، فعسكروا وأقاموا به ، وجعلتِ الأمدادُ تأتيهم من كُلِّ ناحية ؛ ودُريد بن الصِّمَّة يومئذ في شِجارٍ[4] يُقادُ به على بعير ، فمكث على بعيره ، فلما نزل الشيخ لمسَ الأرض بيده فقال : بأيِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوْطاس ، قال : نِعم مجالُ الخيل ، لا حَزْنٌ ضَرِس[5] ،

---

(١) الأياما : جمع أيِّم ، وهو من لا زوج له .

(٢) المعمرون والوصايا ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) أوطاس : واد في ديار هوازن ، فيه كانت وقعة حنين . (معجم البلدان) .

(٤) الشجار : مركب مكشوف دون الهودج . (لسان) .

(٥) الحزن : المرتفع من الأرض . والضرس : الذي فيه حجارة محددة . (شرح غريب السيرة لأبي ذر الخشني ٢٨٤/٢) .

ولا سَهْلٌ دَهِس[1] ؛ مالي أسمعُ رُغاءَ البعير ونُهاقَ الحمير ، وثُغاء الشاء ، وخوار البقر ، وبُكاء الصغير ؟ ! قالوا : ساقَ مالكٌ مع الناس أبناءهم وأموالهم ونساءهم . قال : يامعشرَ هوازن ، أمعكم من بني كلاب بن ربيعةَ أحد ؟ قالوا : لا ، قال : فمعكم من بني كعب بن ربيعة أحد ؟ قالوا : لا ، قال : فمعكم من بني هلال بن عامر أحد ؟ قالوا : لا . قال دُريد : لو كان خيراً ماسبقتموهم إليه ، ولو كان ذكراً وشرفاً ما تخلّفوا عنه ، فأطيعوني يامعشر هوازن ، وارجعوا وافعلوا مافعل هؤلاء ، فأبَوْا عليه ؛ قال : فَمَنْ شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ؛ قال : ذانك الجَذَعان من عامر[2] ، لا يضرّان ولا ينفعان ، ثم قال : أين مالك ؟ قالوا : [٧٦ / أ] هذا مالك ، فقال : يامالك ، إنك تقاتلُ رجلاً كريماً ، وقد أصبحت رئيسَ قومك ، فإنّ هذا اليوم كائن له مابعده من الأيام ، يامالك ، مالي أسمعُ رُغاء البعير ونُهاق الحمير وخوار البقر وبكاء الصغير ويُعار الشاة[3] ؟ قال مالك : سقتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم . قال دُريد : ولِمَ ؟ قال مالك : [أردتُ][4] أنْ أجعلَ خلفَ كُلِّ رجلٍ أهله وماله وولده ونساءه حتى يقاتلوا عنهم . قال : فأنقض[5] بيده ثم قال : راعي ضأن ! ماله وللحرب ، وهل يردُّ المنهزمَ شيء ؟ إنها إنْ كانت لك لم ينفَعْك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإنْ كانت عليك فُضِحْتَ في أهلك ومالك ؛ ثم قال : مافعلَتْ كعبٌ وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الجِدُّ والحَدّ ، ولو كان يومَ رفعةٍ وعلاء لم تغبْ عنه كعب ولا كلاب . يامالك ، إنك لم تصنَعْ بتقديم بَيْضةِ هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، فإذْ صنعت ماصنعت فلا تَعْصِني في هذه الخُطّة : ارفَعْهُم إلى ممتنع بلادهم ، وعُلْيا قومهم وعزّهم ، ثم ألْقَ القومَ على متون الخيل ، فإنْ كان لك لَحِق بك مَنْ وراءك وكان أهلك لافَوْتَ عليهم ، وإنْ كانت عليك ألقاك[6] ذلك وقد أحرَزْتَ أهلك ومالك . فغضِبَ

---

(١) الدهس : اللين الكثير التراب (المصدر السابق) .

(٢) أي : ضعيفان في الحرب ، بمنزلة الجذع في سنّه (المصدر السابق) .

(٣) اليُعار : صوت الغنم والمعزى .

(٤) مابين معقوفين من سيرة ابن هشام ٤٣٨/٢ ومغازي الواقدي ٨٨٧ وأسماء المغتالين ص ٢٢٤

(٥) أنقض : أي صفق بإحدى يديه على الأخرى حتى سمع لها نقيض ، أي صوت . ورواية ابن هشام والطبري (فأنقض به) أي نقر بلسانه في فيه كما يزجر الحمار ، فعله استجهالاً . انظر اللسان (نقض) .

(٦) كذا الأصل وفي المغازي (ألفاك) بالفاء .

مالكٌ من قوله وقال : والله لا أفعلُ ولا أُغَيِّرُ أمراً صنعتُه ، إنك قد كبِرْتَ وكبِر علْمك ، وحدَثَ بعدك مَنْ هو أبصر بالحرب منك . قال دُريد : يامعشرَ هوازن ، والله ماهذا لكم برأْي، هذا فاضحكم في عوراتكم ، ومُمكِّنٌ منكم عدوَّكم ، ولاحقٌ بحِصْنِ ثقيف وتاركُكم ، فانصرفوا واتركوه . قال : فسلَّ مالكٌ سيفَهُ ثم نكَّسه ثم قال : يامعشرَ هوازن ، لتطيعُنِّي أو لأتكئنَّ على السيف حتى يخرجَ من ظهري . وكره مالكٌ أنْ يكونَ لدُرَيدٍ فيها ذِكْرٌ أو رأْي . فمشى بعضُهم إلى بعض فقالوا : والله لئنْ عصَينا مالكاً وهو شاب ليقتلنَّ نفسه ، ونبقى مع دُريد ، شيخ كبير ، لاقتال [٧٦ / ب] فيه ابن ستين ومئة سنة . فأجمعوا رأيهم مع مالك . فلما رأى دريد أنهم قد خالفوه قال : هذا يوم لم أشهَدْهُ ولم أغِبْ عنه : [من منهوك الرجز]

يا ليتني فيها جَذَعْ ... أخُبُّ فيها وأضَعْ[1]

أقودُ وَطْفاءَ الزمَعْ ... كأنها شاةٌ صدَعْ[2]

وكان دُريد قد ذُكر بالفروسيَّة والشجاعة ولم يكن له عشرون سنة ، وكان سيِّدَ بني جُشَم وأوسطهم نسباً ، ولكنَّ السِّنَّ أدركته حتى فَنِيَ فناءً .

قالوا : وقال مالكٌ للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفُونَ سيوفكم ، ثم شُدُّوا شدَّةَ رجل واحد .

قالوا : فبعث سيِّدُنا رسولُ الله ﷺ خيلاً تتبع مَنْ سلك نَخْلَةَ[3] ولم تتبعْ من سلك الثنايا ؛ ويُدرِك ربيعة بن رُفيع بن وَهْبان بن ثعلبة ، فأدرك ربيعةُ دُريدَ بن الصِّمَّة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنُّ أنه امرأة ـ وذلك أنه كان في شجارٍ[4] له ـ فإذا هو رجل ، فأناخ به وهو شيخ كبير ابن ستين ومئة سنة ، فإذا هو دُريد ـ ولا يعرفه الغلام ـ فقال له

---

(١) الجذع : الشاب . والخبب والوضع : ضربان من السير .

(٢) الوطفاء : الطويلة الشعر ؛ والزمع : الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة ، يريد فرساً هذه صفتها . شاة صدع : أي وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا الصغير . والأبيات في ديوانه ص ٩٣

(٣) نخلة : الوادي الذي عسكرت به هوازن يوم حنين . (معجم البلدان) .

(٤) مضى شرح الشجار ص ١٦٩ حاشية (٤) .

دُريد : ماتريد ؟ قال : أقتلُك ، قال : وما تريدُ إلى المُرَعَّس الكبير الفاني الأدْرَد[1] ؟ قال الفتى : ماأريد إلى غيره ممن هو على مثل دينه ، قال له دريد : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفيع السُّلَميّ . قال : فضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً . قال دُريد : بئس ماسلَّحَتْكَ أمُّك ، خُذْ سيفي من وراء الرَّحْل في الشجار فاضربْ به ، وارفَعْ عن العظام واخْفِضْ عن الدماغ ، فإني كنتُ كذلك أقتلُ الرجال ؛ ثم إذا أتيتَ أُمَّك فأخبِرْها أنك قتلت دريد بن الصِّمَّة ، فربَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءَك .

زعَمتْ بنو سُليم أنَّ ربيعة لما ضربه تكشَّف للموت عجانُه وبطونُ فخِذَيْه مثل القراطيس من ركوب الخيل ـ فلمَّا رجع ربيعةُ إلى أمِّه أخبرها بقتله إيَّاه فقالت : والله لقد أعتق أمَّهاتٍ لك ثلاثاً في غداةٍ واحدة ، وجزَّ ناصية أبيك . قال الفتى : لم أشعر .

وقالت عمرة ابنة دريد في قتل ربيعة دُريداً من أبيات : [من الوافر]

[٧٧/أ] جزى عنَّا الإلهُ بني سُلَيمٍ ... وأعقبهم بما فعلوا عَقاقِ[2]
وأسقانا إذا بِرْنا إليهم ... دماءَ خيارهم عندَ التلاقي
فربَّ عظيمةٍ دافعتَ عنهُمْ ... وقد بلغَتْ نفوسُهُم التراقي
ورُبَّ كريمةٍ أعْتَقْتَ مِنْهُمْ ... وأُخرى قد فكَكْتَ مِنَ الوثاقِ[3]

٩٩ ـ دِعْبِل بن عليّ بن رَزِين

ابن عثمان ، أبو علي الخُزَاعي

الشاعر المشهور . وفي نسبه اختلاف ، له شعر رائق . يقال : أصلُه من الكوفة ، ويقال : من قَرْقِيسِياء[4] ، وأكثر مقامه ببغداد ، وسافر إلى غيرها ، وقدِم دمشق ومصر .

---

(١) المرعس : من الرعسان ، وهو تحريك الرأس ورجفانه من الكبر . والأدرد : الذي ليس في فمه سن . (لسان) .

(٢) رواية اللسان : « وعقَّتهم بما فعلوا » وعقاق : من العقوق : مبنية على الكسر مثل حذام ورقاش . انظر (عق) .

(٣) الأبيات في « الأغاني » ١٦/٩ ط بولاق .

(٤) كذا ضبطه ياقوت في « معجم البلدان » وفي « تاج العروس » بكسر القاف ، بلد على نهر الخابور عند مصبه في الفرات .

ويقال إنّ اسْمَه محمد وكنيتهُ أبو جعفر ، ودِعْبل لقب ؛ ويقال : الدِّعْبِل ، البعير المُسِنّ ، ويقال : الشيء القديم .

حدَّث عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وغيرهم .

روى عن مالك بن أنس عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسولُ الله ﷺ :

نِعْمَ الإدامُ الخَلّ .

وحدّث عنه بسنده عن أبي هريرة قال :

لم يزَلْ رسولُ الله ﷺ يتختَّمُ في يمينه حتى قبضه الله عزَّ وجلَّ إليه .

وحدَّث عن شعبة بن الحجاج بسنده عن البَرَاء بن عازب عن النبيِّ ﷺ

في قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ يُثَبِّتُ الله الذينَ آمنوا بالقَوْلِ الثابتِ في الحياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَة ﴾[1] قال : في القبر إذا سُئل المؤمن .

قال أحمد بن أبي دُوَاد :

خرج دعبل بن علي إلى خُراسان ، فنادم عبد الله بن طاهر ، فأُعجب به ، فكان في كل يومٍ ينادمُه فيه ، يأمُر له بعشرة آلاف درهم ، وكان ينادمه في الشهر خمسة عشر يوماً ، وابن طاهر يصله في كل شهر بمئة ألف وخمسين ألف درهم . فلما كثُرَتْ صِلاتُه له توارى عنه دِعْبل يومَ منادمته في بعض الخانات ، وطلبه فلم يقدر عليه ، فشقَّ ذلك عليه . فلمَّا كان [٧٧ / ب] من الغد كتب : [من الطويل]

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كُفْرِ نعمةٍ ... وهل تُرْتَجى فيك الزيادةُ بالكُفْرِ
ولكنَّني لَمَّا أتيتُكَ زائراً ... فأفْرَطْتَ في برِّي عجَزْتَ عن الشُّكْرِ
فلاَنَ لاآتيك إلاَّ مُعَذِّراً ... أزورُكَ في الشهرَيْن يوماً وفي الشَّهْرِ
فإنْ زِدْتَ في برِّي تزيَّدْتَ جَفْوَةً ... ولم نلتقي حتى القيامةِ والحَشْرِ[2]

---

(١) سورة إبراهيم ٢٧/١٤

(٢) الأبيات في الديوان ١٧٥ ، ١٧٦ وتخريجها فيه بتحقيق د . يوسف نجم . وكل ما يرد من أشعار دعبل فهي مخرجة فيه ، وتنسب أيضاً لعلي بن جبلة كما في الأغاني ١٠٥/١٨ ونهاية الأرب ٢٢٨/٤

وقد حدّثني أميرُ المؤمنين المأمون عن أمير المؤمنين الرشيد عن المَهْديّ عن المنصور عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس قال : قال رسولُ الله ﷺ :

مَنْ لا يشكرُ الناس لا يشكرُ الله عزَّ وجلّ ، ومَنْ لا يشكرُ القليل لا يشكرُ الكثير . فوصله بثلاث مئة ألف درهم .

قدم دِعْبِل مصر هارباً من المعتصم لهَجْوِ هجاهُ به ، وخرج منها إلى المغرب إلى الأغلب . وكان خبيثَ اللسان ، قبيحَ الهجاء . ورُوي عنه أحاديثُ مسندةٌ عن مالك بن أنس وعن غيره ، وكلُّها باطلة من وضْعِ ابن أخيه إسماعيل بن علي . وقيل : كان اسْمُه الحسن ، وقيل عبد الرحمن ، وكان أُطروشاً[1] ، وكان في قفاه سَلْعَة[2] .

استنشدَ المأمونُ يوماً عبدَ الله بن طاهر بن الحسين من شعر دِعْبِل بن علي قوله : [من البسيط]

سَقْياً ورَعْياً لأيّامِ الصَّبَابات ... أيامَ أرْفُلُ في أثوابِ لَذَّاتي
أيامَ غُصْني رَطيبٌ من لُدونتِه ... أصبو إلى غير كَنّاتي وجاراتي
دَعْ عنكَ ذِكْرَ زمانٍ فاتَ مَطْلَبُه ... واقْذِفْ برِجْلِكَ عن مَتْنِ الجَهَالاتِ
واقصِدْ بكُلِّ مديحٍ أنتَ قائلُه ... نَحْوَ الهداةِ بني بَيْتِ الكراماتِ[3]

فلمَّا أتى على القصيدة قال المأمون : لله دَرُّه ! ماأغوصه وأنصفه وأوصفَه ! ثم قال : إنه وجد ـ والله ـ مقالاً فقال ، ونال من بعيد ذِكْرهم مامن غيرهم لا يُنال .

قال أبو طالب الدِّعْبلي :

أنشدنا عليُّ بن الجَهْم [٧٨ / أ] ـ وليست له ـ وجعل يعيدُها ويستحسنُها : [من الكامل]

لمّا رأتْ شيباً يلوحُ بمَفْرِقي ... صدَّتْ صُدودَ مُفارقٍ مُتَجَمِّلِ
فظللتُ أطلبُ وَصْلَها بتذلُّلٍ ... والشيبُ يغمزُها بأنْ لاتفعلي[4]

---

(١) الأُطروش : الأصم .

(٢) السلعة : الشجة في الرأس .

(٣) الأبيات في ديوانه ص ٤٩

(٤) البيتان في الديوان ص ١٨٦ وينسبان لابن حازم كما في « الزهرة » لأبي بكر الأصفهاني ص ٣٣٩

قال أبو طالب : ومن أحسَنِ ماقيل في هذا قَوْلُ جَدّي دِعْبِل بن عليّ : [من الكامل]

أين الشبـــابُ وأيّـــةً سلكا ... لاأينَ يُطلبُ ضـــلّ بـــل هَلَكا
لاتعجبي يـــا سَلْمَ من رجـــلٍ ... ضحِـــكَ المشيبُ برأسِـــه فبكى
لاتـــأخـــذي بظُـــلامتي أحـــداً ... طَرْفي وقلبي في دمي اشتركا[1]

قال أبو هَفّان : أنشدني دِعْبِل لنفسه : [من المتقارب]

وداعُـــكَ مثـــلُ وداعِ الحيـــاةِ ... وفَقْـــدُكَ مثـــلُ افتقـــادِ الـــدِّيَمْ
عليـــكَ الســـلامُ فكم مِن وفـــاءٍ ... أفـــارقُ منـــكَ وكم مِن كرَمْ[2]

فقلت لـه : أحسنت ، غَيْرَ أنـك سرقت البيت الأول من الربعيّين . النصف الأول من القطامي : [من البسيط]

مـــاللكـواعبِ ودّعْنَ الحيـــاةَ وإنْ ... ودَّعْنَني واتَّخَذْنَ الشَّيْبَ ميعادي[3]

والنصف الثاني من ابن بُجْرَةَ حيث يقول : [من الطويل]

عليـــك ســـلامُ الله وقفـــاً فـــإنني ... أرى المَوْتَ وقّـاعـاً بكُلّ شريفِ[4]

فقـال لي : بـل الطـائيُّ سرق هـذا البيت بـأسره من ابن بُجْرة في قصيـدتـه المعروفـة بالمسروقة ، رثى بها محمد بن حُمَيْد الطُّوسيّ ، وأوّلُها : [من الطويل]

كذا فليَجِلّ الخَطْبُ أو يَفْدَحِ الأمْرُ ... وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُـذْرُ[5]

---

(١) الخبر والشعر في « تاريخ بغداد » ٣٨٤/٨ ، والأبيات في الديوان ص ١١٧ ، ١١٨

(٢) البيتان في الديوان ص ١٣٧

(٣) رواية البيت في « الشعر والشعراء » ص ٦١ : « ماللعذارى ودُعن الحياة كا » وهو في الديوان ص ٧٩

(٤) عُزي هذا البيت لليلى بنت طريف التغلبية من قصيدة ترثي فيها أخاها الوليد . انظر « حماسة البحتري » ط ليدن ص ٢٧٦ لكن البيت لم يذكر فيها وذكر في تخريجها . وأورده أبو علي القالي في أماليه ٢٧٤/٢ دون أن يعزوها لقائل . وقال في « سمط اللآلي » ص ٩١٣ ، ٩١٤ : واختلف في قائله ، فقيل إنه لأخته ليلى بنت طريف وقال دعبل وابن الجراح هو لمحمد بن بُجْرة .

(٥) الطائي هو أبو تمام ، والقصيدة في ديوانه ٧٩/٤ بشرح التبريزي .

إلى قوله :

عليكَ سلامُ اللهِ وقفاً فإنني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليسَ لهُ عُمْرُ

قال دعبل : بينا أنا جالسٌ على باب داري بالكَرْخ إذْ مرَّتْ بي غُصْنٌ [٧٨ / ب] جاريةُ ابنِ الأحدب ، وكانت شاعرة مُغَنِّية ، يبلغُني خَبَرُها ولم أكن شاهدتُها ، فرأيتُ وجهاً جميلاً وقدّاً حسناً ، وقواماً وشكلاً ، وهيَ تخطرُ في مشيتها وتنظُر في أعطافها فقلت لها : [من مخلَّع البسيط]

دموعُ عيني بها انبساطٌ ونَوْمُ عَيْني بهِ انْقِباضُ

فقالت مسرعةً :

ذاكَ قليلٌ لِمَنْ دَهَتْهُ بلَحْظِها الأعينُ المِراضُ

فقلت :

فهَلْ لمولايَ عطفُ قلبٍ أمْ للذي في الحشا انقراضُ[1]

فقالت :

إنْ كنتَ تهوى الوِدادَ مِنَّا فالوُدُّ في دِيننا قِراضُ[2]

فما دخل في أذني كلامٌ أحلى من كلامها ، ولا رأتْ عيني أنْضَرَ وجهاً منها . فعدلْتُ بها عن ذلك الرَّوِيِّ فقلت : [من الكامل]

أترى الزمانَ يسرُّنا بتلاقِ ويضمُّ مشتاقاً إلى مشتاقِ[3]

فقالت :

ما للزمانِ يقالُ فيهِ فإنّما أنتَ الزمانُ فَسُرَّنا بتلاقِ[4]

---

(١) البيتان لدعبل في ديوانه ص ١٩٦

(٢) القراض : القَرْض .

(٣) البيت في ديوان دعبل ص ١١٦

(٤) انظر الخبر والشعر في الأغاني ٣٣٠/١٨ ط دار الثقافة .

قال دِعْبِلٌ لإبراهيمَ بنِ العباس : أريدُ أنْ أصحبَكَ إلى خُراسان ، فقال له إبراهيم : حبّذا أنت صاحباً مصحوباً إنْ كُنّا على شريطة بشّار ، قال : وما شريطةُ بشار ؟ قال : قوله : [من الطويل]

أخٌ خَيْرُ مَنْ آخَيْتُ أحملُ ثقلَهُ ... ويحملُ عني حينَ يفدَحُني ثِقْلي
أخٌ إنْ نبا دَهْرٌ بهِ كنتُ دونَهُ ... وإنْ كان كونٌ كان لي ثقةً مِثْلي
أخٌ مانُهُ لي لستُ أرهَبُ بُخْلَهُ ... ومالي لهُ لا يرهَبُ الدَّهْرَ من بُخْلي[1]

قال : ذلك لك ، ومزية . فاصطحبا .

أنشد أبو العباس المُبَرِّد لدِعْبل : [من الطويل]

أخٌ لكَ عاداهُ الزمانُ فأصبحَتْ ... مذمَّمةً فيما لديْهِ العواقبُ
متى ماتُحَذِّرْهُ التجاربُ صاحباً ... منَ الناسِ تَرْدُدْهُ إليكَ التجاربُ[2]

كان عليُّ بن القاسم الحَوَافي مدح أبا عمرو أحمد بن نصر ، وتردَّد إليه بعد [٧٩ / أ] أنْ مدحه ، ولم يخرج الجواب كما أحبَّه ، فكتب إليه رقعةً يقول فيها : قال عليُّ بن الجَهْم في مثل ما نحن فيه : [من البسيط]

يامَنْ يُوقِّعُ «لا» في قصتي أبداً ... ماذا يضرُّك لو وقَّعْتَ لي «نَعَما» ؟!
وقِّعْ «نعم» ثم لا تنوي الوفاءَ بها ... إن كنتَ من قوله باللفظِ مُحتَشِما
أو لا فوقِّعْ «عسى» كيما تعلِّلُني ... فإنَّ قولَكَ «لا» يُبكي العيونَ دَمَا[3]

وكتب في رقعته : ومن أحسن ما يذكر لعبد الله بن طاهر : [من الخفيف]

افعلِ الخَيْرَ ما استطعت وإنْ كا ... ن قليلاً فلَنْ تُحيطَ بكُلِّهْ
ومتى تفعلِ الكثيرَ من الخَيْرِ إذا كنتَ تاركاً لأقلِّهْ ؟

وكتب في رقعته : إنَّ دِعْبِلَ بن علي كتب إلى عبد الله بن طاهر : [من الكامل]

---

(١) ليست الأبيات في ديوان بشار بتحقيق ابن عاشور ، وهي في الجليس الصالح .
(٢) البيتان في ديوانه ص ١٨
(٣) ليست هذه الأبيات في ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم .

مـاذا أقولُ إذا انصرفتُ وقيل لي : مـاذا أخـذتَ منَ الجوادِ المفضـلِ ؟
إنْ قلتُ أعطاني كـذبْتُ وإنْ أقُلْ ضنَّ الجـوادُ بمـالـه لَمْ يَجْمُـلِ
فاحْتَلْ لنفسكَ كيفَ شئتَ فإنني لابُـدَّ مُخبِرُهم وإنْ لَمْ أُسـأَلِ[1]

وقد دخل إلى عبد الله بن طاهر ، فلمَّا وصل إليه قام تلقاء وجهه وأنشد : [من المنسرح]

أتيتُ مُستشفعـاً بـلا سبب إليـكَ إلاَّ بحُرْمـةِ الأدبِ
فـاقْضِ ذِمَـامي فـإنني رجـلٌ غَيْرُ مُلِـحٍّ عليـكَ في الطلبِ[2]

فدخل عبدُ الله ووجَّهَ إليه بستين ألف درهم ، ورقعة فيها مكتوب : [من الكامل]

أعجَلْتَنـا فـأتـاكَ أوَّلُ برِّنـا قَـلاًّ ولَـوْ أخَّرْتَـه لم يَقْلِـلِ
فخـذِ القليـلَ وكُنْ كمَنْ لَمْ يَقْبَـلِ ونكـونُ نحنُ كأنَّنـا لَمْ نفعـلِ[3]

ومن شعر دعبل : [من الوافر]

هـدايـا النـاسِ بعضُهُم لبعضٍ تُـولِّـدُ في قلـوبهمُ الـوصَـالا
وتـزرعُ في الضمير هـوًى ووُدّاً وتكسُـوهمْ إذا حضَرُوا جَمالا[4]

[٧٩ / ب] ومن شعر دعبل : [من البسيط]

أهْلَتُـهُ حينَ لَمْ أمْلِـكْ مَقَـادَتَـهُ ثم انقبضْتُ بـودّي عنـهُ وانْقَبَضـا
فقلتُ للنفسِ عُـدِّيـهِ مُنًى نزحَتْ به النوى ، أومنَ القَرْنِ الذي انْقَرضا
فـا بكيتُ عليـهِ حينَ فـارقني ولا وجَدتُ له بينَ الحشا مَضَضا[5]

---

(١) الأبيات في الديوان ص ١٣٤ على خلاف في الرواية ، وتخريجها فيه .
(٢) البيتان في الديوان ص ٣٣
(٣) الخبر والأبيات في « تاريخ بغداد » ٣٨٤/٨ و « الأغاني » ٥٩/١٨ على خلاف في الرواية .
(٤) البيتان في الديوان ص ١٢٠
(٥) الأبيات في الديوان ص ٩٦ وفيه (تندبه متى) . وبتحقيق د . عبد الكريم الأشتر ص ١٣٦ (عديه فتىً) .

ومن شعره : [من البسيط]

كيف احْتيالي لبَسْطِ الضيفِ منْ حَصَرٍ ... عندَ الطعامِ فقد ضاقتْ بهِ حِيَلي
أخافُ يزدادُ قولي: كُلْ، فأحْتُمَهُ ... والكَفُّ يحملُهُ مِنّي على البَخَلِ[1]

حدَّث ضَبَّيٌّ وهو أحمد بن عبد الله راوية العتّابيّ ـ وكان سميراً لعبد الله بن طاهر ـ

أنَّ عبد الله بن طاهر ، بينا هو معه ذات ليلة إذْ تذاكرا الأدبَ وأهلَه ، فذكرا دِعْبلَ بنَ عليّ ، فقال عبدُ الله بن طاهر : ياضَبّيّ ، أريدُ أنْ أوعزَ إليك بشيءٍ تستُره عليّ أيامَ حياتي ، فقلت : أنا عبدُك وأنا في موضع تُهَمَة ؟ ! قال : لا، ولكنْ أطيبُ لنفسي أنْ توثِّقَ لي بالأيْمان ، فقلت : أصلحك الله ، إنْ كنتَ عندك في هذه الحال فلا حاجةَ بك إلى إفشاء سِرِّك إليّ ، واستعفيتُه ، فلم يَعْفِني ، فقلت : يرى الأميرُ رأْيَه ، فأكَّدَ اليمينَ عليّ بالبيعة والطلاق ثم قال : أشعرتَ أني أظنُّ دعبلاً مدخولَ النسب وأُمك ؟ فقلت : أفي هذا أخذت عليّ الأيْمان ؟ قال : إيْ والله ، قلت : ولِمَ ؟ قال : لأني في نفسي حاجة ، ودِعْبل رجلٌ قد حملَ جِذعَهُ على عنُقه ولا يجدُ مَنْ يصلبُه عليه ، فأتخوَّفُ إنْ بلغَهُ أنْ يُلقي عليّ من الخِزْي ما يبقى على الدهر ، وقُصاراي إنْ ظَفِرتُ به وأسلَمَتْه اليَمَن ـ وما أراها تسلمُه لأنه لسانُها وشاعِرُها والذّابُّ عنها ، والمحامي دونها ـ أنْ أضربَهُ مئة سَوْط ، وأُثقلَهُ حديداً وأصيِّره في مُطْبِقِ[2] باب الشام ، وليس في ذلك عِوضاً ممَّا سار من الهجاء فيَّ وفي عَقِبي من بعدي . قلتُ : أتراه يفعلُ ذلك [٨٠ / أ] ويقدمُ عليك ؟ قال : ياعاجز ، أهْوَنُ مالم يكن عليه ، أتراهُ أقدمَ على سيدي هارون ومولاي المأمون وعلى أبي ، ولم يكن يقدم عليّ ؟ ! قلت : إذا كان الأمر على ما وصفْتَ فقد وُفِّق الأمير فيما أخذ عليّ ـ قال : وكان دعبلٌ لي صديقاً ـ فقلتُ : هذا قد عرفتُه ، ولكنْ من أين قلتَ إنَّهُ مدخولُ النسب ؟ فوالله لعلمتُه في البيت الرفيع من خُزَاعة ، وما أعلم فيها بيتاً أكرم من بيته إلاّ بيت أُهْبَانَ مُكَلِّمِ الذئب وهم بنو عمِّه دِنْيَةَ، قال : وَيْحك ! كان دعبلٌ غلاماً خاملاً أيام ترعرع ، لا يُؤْبَهُ له ، وكان خلُّه لا يدركُ بقْلَه ، وكان بينه وبين مسلم بن الوليد إزارٌ لا يملكان غيره شيئاً ، فإذا أراد دِعْبلٌ الخروجَ جلس مسلمُ بن الوليد في البيت عارياً ، وإذا أراد الخروجَ فعل دعبلٌ مثلَ ذلك ؛ وكانا إذا

---

(١) الأبيات في الديوان ص ٣١٨ بتحقيق الأشتر وفيه (أخافُ ترداد) .

(٢) المطبق : السجن تحت الأرض (المعجم الوسيط) .

اجتمعا لدعوةٍ يتلاصقانِ بطَرْحِ هذا شيئاً منه عليه ، والآخر الباقي . وكانا يعبثان بالشعر إلى أن قال دِعْبِل : [من الكامل]

أيْنَ الشبـــابُ وأيّـــةً سَلَكا ... لا ، أين يُطْلَبُ ضَـلَّ بـل هَلَكا
لاتعجبي يـــاسَلْمُ من رَجُـلٍ ... ضَحِـك المشيبُ برأســهِ فبكى
قَصَر الغَـوَايـــةَ عن هـوى قَمَرٍ ... وجـدَ السبيـلَ إليـه مُشْتَرَكا
وَعْـداً بـأخرى عَـزَّ[1] مَطْلَبُهـا ... صبّـاً يَطَـامِنْ دُونهـا الحَسكا
يـاليتَ شعري كيف نـومُكمـا ... يـاصـاحبيَّ إذا دمي سُفِكا
لاتـأخُـذا بظُـلامتي أحَـداً ... قَلْبي وطَرْفي في دَمِي اشْـتَرَكا[2]

إلى آخرها . فغَنّي به هارون الرشيد ، فاستحسنه واستجاد قَوْلَه :

ضَحِك المشيبُ برأسهِ فبكى

فقال للمغنّي : لمن هذا الشعر ؟ قال : لبعض أحداث خُزَاعةَ ممّن لا يُؤبَهُ لـه . قال : من هو ؟ قال : دعبل بن علي ، قال : ياغلام ، أحضِرْني عشرة آلاف درهم وحُلَّةً من حُلَلي ومَرْكباً من مراكبي خاصّة ، فأحضر ذلك ، فقال : [٨٠ / ب] ادْعُ لي فلاناً ، فقال : اذهَبْ بهذا إلى دِعْبل ، وأجاز المغني بجائزةٍ عظيمة ؛ وتقدم إلى الرجل الذي بعثه إلى دعبل أن يعرض عليه المصيرَ إلى هارون ، فإنْ صار وإلاّ أعفاه ، فأتاه الرسول وأشار عليه بالمصير إليه ، فانطلق دعبلٌ معه ، فلمّا مَثُل بين يديه سلَّم ، فردَّ عليه هارونُ السلام ورحَّب به وقرَّبه حتى سكنَ رُوعُه ، واستنشده الشعر فأنشده ، وأعجب به وأقام عنده يتحدثُه . وأجرى عليه الرشيد أجزلَ جِرايةٍ وأسناها ، وكان الرشيدُ أولَ من ضَرَّاهُ[3] على قول الشعر ؛ فما كان إلاّ بعد ماغيَّب الرشيد في حُفْرته إذْ أنشأ يمتدح آلَ سيدنا رسول الله ﷺ ويهجو آل الرشيد ، فمن ذلك قوله : [من البسيط]

وليس حيٌّ منَ الأحيـاءِ نعرفُـهُ ... من ذي يمـانٍ ولا بَكْرٍ ولا مُضَرِ

---

(١) في الأصل (عنّ) وهو تصحيف وما أثبتناه من (شعر دعبل) ص ١٦١ بتحقيق د . عبد الكريم الأشتر طبعة مجمع اللغة العربية .

(٢) سبق أن أورد بعض هذه الأبيات ص ١٧٥

(٣) ضرّاه : عوّده .

إلاَّ وهُمْ شُرَكاءٌ في دمـــــائِهِمِ ... كما تَشَـارَكَ أيسـارٌ على جُـزُرِ
قَتْـلٌ وأَسْرٌ وتحريـق ومَنْهَبَـةٌ ... فِعْـلَ الغـزاةِ بـأَهْـلِ الرُّومِ والخَزَرِ
أرى أُمَيَّـةَ معـذورينَ إنْ قتَلُـوا ... ولا أرى لبني العبَّـاسِ من عُـذُرِ
أبنـــاءُ حَرْبٍ ومروانٍ وأُسْرَتُهمْ ... بنـو مُعَيْـطٍ ولاةُ الحِقْـدِ والـوَغَرِ
قـومٌ قتلتُم على الإســلامِ أوَّلَهُمْ ... حتى إذا استمكنوا جازوا على الكُفُرِ
اِرْبَعْ بطُـوسَ على القَبْرِ الـزكيِّ بـهِ ... إنْ كنتَ تربَـعُ من دِينٍ على وَطَرِ[1]
قبرانِ في طُوسَ : خَيْرُ الناسِ كلِّهمِ ... وقَبْرُ شَرِّهمِ ، هـــــذا من العِبَرِ
مـا ينفعُ النَّجْسَ من قُرْبِ الزَّكِيِّ ولا ... على الـزكيِّ بقُرْبِ النَّجْسِ من ضَرَرِ
هَيْهَاتَ كُلُّ امرئٍ رهْنٌ بما كسبَتْ ... يداه حقاً فخُذْ مـا شئتَ أو فَـذَرِ[2]

القبران اللذان بطُوس : قبر هارون والآخر قبر الرضا علي بن موسى .

فوالله ما كافأه ، هذه واحدةٌ ياضبّيّ وأمَّا الثانية فإنه لما استُخلف المأمون جعل يطلبُ دعبلاً إلى أنْ كان من أمره مـع إبراهيم بن شَكْلَة[3] ، وخروجـه مـع [٨١ / أ] أهـل العراق يطلبُ الخلافة ، فأرسل إليه دعبل يقولُ من أبيات : [من الكامل]

أنَّى يكـــونُ وليس ذاك بكائنٍ ... يَرِثُ الخـلافَـةَ فـاسـقٌ عن فـاسـقِ
نفر ابنُ شَكْلَـةَ بـالعراقِ وأهلهـا ... فهفـا إليـه كلُّ أطلسَ مـائـقِ[4]
إنْ كان إبراهيمُ مضطلعـاً بهـــا ... فلتَصْلُحَنْ من بعـدِهِ لمُخـارِقِ[5]

فضحك المأمون وقال : قد غفرنا لدعبلٍ كُلَّ ماهجانا به بهذا البيت ؛ وكتب إلى أبي

---

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ . (معجم البلدان) .

(٢) الأبيات في ديوانه ص ١٧٨ ، ١٧٩ وعده يوسف نجم من الشعر المختلط لأنه ورد البيتان الأول والثاني منسوبين لابن حبران في « معجم البلدان » (مخلاف جيشان) .

(٣) ابن شكلة : هو إبراهيم بن المهدي ، وشكلة أمه ، وهي جارية سوداء ، نُسب إليها لشبهه بها . الإكمال ٥١٨/١

(٤) الأطلس : العبد الأسود الحبشي . والمائق : الأحمق . (لسان) .

(٥) الأبيات في ديوانه ص ١١٦ .

طاهر أنْ يطلبَ دعبلاً حيثُ كان ويؤمِّنَه ، فكتب إليه وحمله وأجازه ، وأشار إليه بالمصير إلى المأمون ؛ فتحمَّلَ دعبل إلى المأمون .

وثبت المأمون في الخلافة ، وضرب الدنانير باسمه ؛ وأقبل يجمعُ الآثار في فضائل آل رسولِ الله ﷺ فتناهى إليه قولُ دِعْبِل : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ... ومنزلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ
لآل رسولِ الله بالخَيْفِ من مِنًى ... وبالرُّكْنِ والتعريفِ والجَمَراتِ

فما زالت تتردَّدُ في صدر المأمون حتى قدِمَ عليه دعبل ، فقال : أنشدْني ولا بأْسَ عليك ولك الأمانُ من كل شيءٍ فيها ، فإني أعرفُها وقد رويتُها ، إلاَّ أني أُحبُّ أنْ أسمعَها من فيك ، فأنشده حتى صار إلى هذا الموضع :

ألم ترَ أني مُذْ ثلاثينَ حِجَّةً ... أروحُ وأغْدُو دائمَ الحَسَراتِ
أرى فيئَهُمْ في غَيْرِهِمْ مُتقَسَّماً ... وأيديَهُمْ من فَيْئِهِمْ صَفِراتِ
وآلُ رسولِ الله نُحْفٌ جسُومُها ... وآلُ زيادٍ غُلَّظُ القَصَراتِ[1]
بناتُ زيادٍ في القصورِ مَصُونةٌ ... وبنتُ رسولِ اللهِ في الفَلَواتِ
إذا وَتِروا مَدُّوا إلى واتِريهِمِ ... أكُفّاً عنِ الأوْتارِ مُنْقَبِضاتِ
فلولا الذي أرجوهُ في اليومِ أوْ غَدٍ ... تقطَّعَ قلبي إثْرَهُمْ حَسَراتِ[2]

قال : فبكى المأمونُ حتى اخضلَّتْ لحيتُه ، وجرَتْ دموعُهُ على نَحْره ، وكان دعبلٌ [٨١ / ب] أوَّلَ داخلٍ إليه وآخرَ خارجٍ من عنده . فلم نشعُرْ إلاَّ وقد عَتَب على المأمون وأرسل إليه بشعرٍ يقولُ فيه : [من الكامل]

ويسومُني المأمونُ خُطَّةَ ظالمٍ ... أوَ ما رأى بالأمسِ رأسَ مُحمَّدِ ؟
يُوفي على هامِ الخلائقِ مثلَما ... توفي الجبالُ على رؤوسِ القَرْدَدِ[3]
لا تَحْسَبَنْ جَهْلي كجِلْمِ أبي فَما ... حِلْمُ المشايخِ مثلُ جَهْلِ الأمْرَدِ

---

(١) القصرات : جمع قصرة وهي أصل العنق .

(٢) الأبيات في ديوانه ص ٤١ ، ٤٢

(٣) القردد : الأرض الغليظة المرتفعة .

إني منَ القومِ الذينَ سُيوفُهمْ قتلَتْ أخاكَ وشرَّفَتْكَ بمقْعَدِ
شادُوا بذكركَ بعدَ طُولِ خُمولِهِ واستنقذوكَ من الحضيضِ الأبْعَدِ[1]

فلمَّا سمع هذا المأمون قال : كذَب عليّ ، متى كنتَ خاملاً ؟ ! وإني لخَليفةٌ وابنُ خليفة وأخو خليفة ، ومتى كنتَ خاملاً فيرفعني دِعْبِل ؟ ! فوالله ما كافأه ولا كافأ أبي ما أسدى إليه . وذلك أنّهُ لما تُوفّي أنشأ يقول : [من الوافر]

وأبقى طاهرٌ فينا خِلالاً عجائبَ تُسْتَخَفُّ بها الحلومُ
ثلاثةُ إخوةٍ لأبٍ وأُمٍّ تَمايَزُ عن ثلاثتِهمْ أُرُومُ
فبعضُهمُ يقولُ قريشُ قومي وتدفعُهُ الموالي والصَّميمُ
وبعضٌ في خزاعَةَ مُنْتَماهُ ولاءٌ غيرُ مجهولٍ قديمُ
وبعضُهمُ يَهَشُّ لآلِ كِسْرى ويَزْعُمُ أنه عِلْجٌ لئيمُ
لقد كثُرَتْ مَناسبُهُمْ علينا فكلُّهُمُ على حالٍ زَنِيمُ[2]

فهذه الثالثةُ ياضبّيّ . وأمّا الرابعة : فإنه لمّا استُخلف المعتصم دخل عليه دِعْبِلٌ ذات يوم ، فأنشده قصيدة ، فقال : أحسنتَ يادِعْبِل ، فاسألني ماأحببت ، قال : مئة بَدْرَة[3] ، قال : نعم ، على أنْ تُمهلَني مئة سنة ويُضمن لي أجَلٌ معها ؛ قال : قد أمهلْتُكَ ماشئت . وخرج مُغْضَباً ، فلقي خَصِيّاً قد كان عوّده أنْ يُدخلَ مدائحَهُ إلى أمير المؤمنين ويجعلَ له سَهْماً من [٨٢ / أ] الجائزة ، فقال : ويحك ! إني كنتُ عند أمير المؤمنين وأغفَلْتُ حاجةً لي أنْ أذكرها له ، فأذكرُها في أبيات وتُدْخِلُها له ؟ قال : نعم ، ولي نصفُ الجائزة ؟ فماكثَ ساعةً ثم أجابَهُ فأخذ رُقْعةً فكتب فيها : [من مخلّع البسيط]

بغدادُ دارَ الملوكِ كانَتْ حتى دهاها الذي دَهاها
ماغابَ عنها سُرورُ مُلْكٍ أعارَهُ بَلْدَةً سِواها
ماسُرَّ مَنْ رَا بسُرَّ مَنْ رَا بل هي بُؤْسٌ لمن يراها[4]

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ٦٩ ، ٧٠

(٢) الأبيات في الديوان ص ١٧٩ ، ١٨٠ بتحقيق الأشتر .

(٣) البدرة : كيس مال يقدم في العطايا ، فيه ألف أو عشرة آلاف أو غير ذلك يختلف باختلاف العهود . (لسان) .

(٤) مضى تعريف سامراء ص ٧٩ حاشية (٣).

عجَّـــلَ ربي لهـــــا خَرابـــــاً برَغْمِ أنفِ الـــذي ابْتَنـــاهـــا[1]

وختمها ودفعها إلى الخَصِيّ ، فأدخلها إلى المعتصم . فلمَّا رآها قال : مَنْ صاحبُ هذه الرُّقْعَة ؟ قال : دعبل ، وقد جعل لي نصفَ الجائزة ؛ فَطُلب ، فكأنَّ الأرضَ انطوَتْ عليه ولم يُعرفْ له خبر ، فقال المعتصم : أخْرِجوا الخَصِيَّ فأجيزوه بألف سَوْط ، فإنَّه زعم أنَّ له نصفَ الجائزة ، وقد أرَدْنا أنْ نجيزَ دعبلاً بألفي سَوط . قال : ثم لم يلبَثْ أنْ كتب إليه من قُم[2] بهذه الأبيات : [من الطويل]

ملـوكُ بني العبـاسِ في الكُتْبِ سبعـةٌ ولم تـأتِنـا في ثـامنٍ منهمُ الكُتْبُ[3]
كـذلـكَ أهْلُ الكهفِ في الكهفِ سبعـةٌ غـداةَ ثَـوَوْا فيـهِ وثـامنُهمْ كَلْبُ
وإني لأُزهي كَلْبَهُمْ عنـكَ رغبـةً لأنَّـكَ ذو ذَنْبٍ وليس لـه ذَنْبُ
كأنَّـكَ إذْ مُلِّكْتَنـا لشقـائنـا عَجُوزٌ عليها التَّاجُ والعِقْدُ والإتْبُ[4]
فقد ضاعَ أمْرُ الناسِ حتى يسوسَهُمْ وَصِيفٌ وأشْناسٌ وقد عَظُمَ الخَطْبُ
وإني لأرجـو أنْ تُرى مِن مَغيبهـا مطالعُ شمسٍ قد يَغَصُّ بها الشَّرْبُ
وهَمُّـكَ تُرْكِيٌّ عليـهِ مَهـانَـةٌ فـأنتَ لـه أُمٌّ وأنتَ لـه أبُ[5]

وأمَّا الخامسة : فإنَّ ابن أبي دُوَاد كان يعطيه الجزيلَ من ماله ، ويقسم له على أهلِ عمله ، فعتِبَ عليه ، فقال فيه : [من الوافر]

[٨٢/ب] أبـا عَبْـدِ الإلـهِ أصِخْ لِقَـوْلي وبعضُ القَـوْلِ يَصْحَبُـهُ السَّـدادُ
نرى طَسْماً تعـودُ بهـا الليـالي إلى الـدنيـا كما رجعَتْ إيـادُ[6]

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ١٦٠

(٢) قم : مدينة مستحدثة إسلامية ، لا أثر للأعاجم فيها ، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري . تقع إلى الشرق من همذان جنوب بحر الخزر . انظر معجم البلدان .

(٣) كان المعتصم ثامنَ الخلفاء العباسيين .

(٤) الإتْب : ثوبٌ يشق في وسطه ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين . (لسان) .

(٥) الأبيات في ديوانه ص ١٩ ، ٢٠

(٦) طسم : من العرب العاربة ؛ انظر خبرها مع جديس ، تاريخ الطبري ، ٦٢٩/١

قبـائـلُ جُـذَّ أصْلُهُمْ فبـادُوا ... وأوْدَى ذِكْرُهُمْ زمنـاً فعـادوا
وكانـوا عَزَّزُوا في الرَّمْـلِ بَيْضـاً ... فـأمسكَـتْـهُ كما غَرزَ الجَرادُ[1]
فلمَّـا أنْ سُقـوا درَجُـوا وذَبُّـوا ... وزادُوا حين جـادَهم العِهـادُ[2]
هُمُ بَيْضُ الرِّمـادِ يُشَـقُّ عنهُمْ ... وبعضُ البَيْض يُشْبِهُـهُ الرِّمَـادُ
غـداً يـأتيـك إخـوتُهم جَـديسٌ ... وجُرْهُمُ قُصَّراً وتعـودُ عـادُ
فتعجِـزُ عنهمُ الأمصـارُ ضيقـاً ... وتمتلئُ المنـازلُ والبـلادُ
فلَمْ أرَ مثلَهُمْ بـادُوا فعـادُوا ... ولم أرَ مِثْلَهم قَلُّـوا فَـزادُوا
تـوغَّـلَ فيهمُ سَفِـلٌ وخُـوزٌ ... وأوبـاشٌ فهم لهمُ مِـدَادُ[3]
وأنبـاطُ السوادِ قَـدِ اسْتَحـالـوا ... بهـا عَرَبـاً فقـد خَرِبَ السـوادُ
فلـو شـاءَ الإمـامُ أقـامَ سـوقـاً ... فبـاعَهُمُ كما بِيـعَ السَّمَـادُ[4]

وقال فيه وقد تزوَّج في بني عِجْل : [من الوافر]

أيَـا لَلنـاسِ مِن خَبَرٍ طريفِ ... تفرَّدَ ذكره في الخَـافقَيْنِ :
أعِجْـلٌ أنكحـوا ابْنَ أبي دُوَادٍ ... ولَمْ يتـأمَّلُـوا فيـه اثنتَيْنِ
أرادُوا نَقْـدَ عـاجلـةٍ فبـاعُـوا ... رخيصـاً عـاجـلاً نَقْـداً بـدَيْنِ
بضـاعـةُ خـاسرٍ بـارَتْ عليـهِ ... فبـاعَـكَ بـالنَّـواةِ التمرتَيْنِ
ولـو غَلِطـوا بـواحـدةٍ لَقُلْنـا ... يكـونُ الـوَهْم بين الغـافلَيْنِ
ولكنْ شَفْـعُ واحـدةٍ بـأخرى ... يـدلُّ على فسـادِ المَنْصِبَيْنِ[5]
لَحى الله المعـاشَ بفَرْجِ أُنثى ... ولـو زوَّجْتَهـا من ذِي رُعَيْنِ

---

(١) رواية الديوان (في الصخر) عن « مونس الوحدة » وهو أشبه بالصواب ، إذ المعروف أن الجراد يلتمس الصخر الصلب ليلقي عليه بيضه . انظر « الحيوان » للجاحظ ٥٤٩/٥

(٢) العهاد : مطر أول السنة . (لسان) .

(٣) خوز : جيل من العجم . (لسان) .

(٤) الأبيات في ديوانه ص ٦١ ، ٦٢

(٥) في الأصل (المنصتين) وما أثبتناه من ابن عساكر ، والمنصب : الأصل .

ولَّـــا أنْ أفـــادَ طريفَ مـــالٍ وأصبـــحَ رافِـــلاً في الحُلَّتَيْنِ
[٨٣ / أ] تكنَّى وانتمى لأبي دُوَادٍ وقَـــدْ كانَ اسْمُـــهُ ابنَ الفـــاعِلَيْنِ
فَرَدُّوهُ إلى فَرجِ أبيـــــــــــهِ وزريـــابٍ فـــألأمُ والـــدَيْنِ[1]

وقال في الحسن بن وَهْب وكان على بُرْد الآفاق : [من الطويل]

ألاَ أبْلِغَـــا عني الإمـــامَ رســـالـــةً رسالـةَ نـاءٍ عَنْ جَنَـابَيْـهِ شـاحِـطِ
بأنَّ ابْنَ وَهْبٍ حين يَشْحَجُ شاحِجٌ يُمِرُّ على القِرْطاسِ أقلامَ غـالـطِ[2]

وهؤلاء أهل قُمّ ، كانوا يعطونـه الكثير من أموالهم ويمنعون الخلفاء منـه فكافـأهم بـأن قال فيهم : [من الوافر]

تـلاشى أهْـلَ قُمٍّ فـــاضمحلُّـوا تَحَـلُّ المخـزيـــاتُ بحيثُ حَلُّـوا
وكانـوا شيَّـــدُوا في القَفْرِ مَجْـــداً فلمـا جـــاءتِ الأمـوالَ مَلُّـوا[3]

قال : وهذا عليُّ بن عيسى الأشعري قد دلَّ بعضُ شعره على أنه أخذ منه ألوفاً وذلـك في قوله له : [من الطويل]

فـلا تُفْسِـدَنْ خمسين ألفاً وهَبْتَهـا وعشْرةَ أحـوالٍ وحـقٌّ تنـاسُبِ
وشُكْراً تهـاداهُ الرجـالُ تهـاديـاً إلى كُـلِّ مِصْرٍ بينَ جـاءٍ وذاهبِ
بـلا زَلَّـةٍ كانَتْ وإنْ تـكُ زَلَّـةً فـإنَّ عليـكَ العَفْوَ ضَرْبَـةَ لازبِ[4]

فـا كان بين هـذا القـول وبين أنْ هجـاه إلاَّ أيـامـاً قـلائـل حتى قـال فيـه : [من مجزوء الرمل]

كنتَ مِنْ أرْفَضِ خَلْـــــقِ الله إذْ كنتَ صبيًّـــــــــا
وتـــواليْتَ أبـــــا بَكْـــ ـــرٍ وأرْجـأتَ الـوليًّـا

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ١٥٥

(٢) البيتان في ديوانه ص ٩٨ ، وشحج البغل : صوّت . (لسان) .

(٣) البيتان في ديوانه ص ١٢٤

(٤) الأبيات في ديوانه ص ٣٦

وتجنَّبْتَ عَلَيَّ ـــــــــــــــاً إذْ تسَمَّيْتَ عليَّ ـــــــــــــــا[1]

قال : وهذه خُزاعة هجاهم ، وهي قبيلته ، فقال فيهم : [من الكامل]

أخُـزَاعُ غَيْرُكُم الكرامُ فـأقصِروا وضَعُـوا أكُفَّكُمُ على الأفْـواهِ
الراتقينَ ولاَتَ حينَ مَرَاتِـقٍ والفـاتقينَ شرائـعَ الأسْتـاهِ
فَـدَعُوا الفخـارَ فلستُمُ مِن أهلـهِ يـوم الفخـارِ ففَخْرُكم بشِيـاهِ[2]

[٨٣ / ب] قال : وهذا المُطَّلب بن عبد الله الخُزَاعيّ كان يعطيه الجزيل ، فقال يمدحه : [من المنسرح]

إنْ كاثَرونـا جِئْنـا بـأُسرتِـهِ أوْ واحَـدُونـا جِئنـا بمُطَّلِبِ
أبْعَـدَ مِصْرٍ وبعـد مُطَّلِبِ نرجـو الغِنى ، إنَّ ذامنَ العَجبِ[3]

وقال فيه يهجوه : [من المتقارب]

شعـارُكَ في الحربِ يـومَ الـوغى بفرسـانِـك الأوَّلَ الأوَّلُ[4]
فـأنتَ إذا اقتتلُـوا آخِرٌ وأنتَ إذا أدْبَرُوا أوَّلُ
فمنـكَ الرؤوسُ غـداةَ الْتقـا ومِمَّنْ يحـاربُـكَ المِقْصَـلُ[5]
فـذلـك دَأْبُكمـا أو يَمُـوتُ من القـومِ بينكمـا الأعْجَـلُ

قال : وهذا الحسن بن رجاء ، وابنا هشام[6] ، ودينار بن عبد الله بن يحيى بن أكثم ،

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ٢٠٨ بتحقيق د . عبد الكريم الأشتر .

(٢) في الأصل (بسياه) بإهمال السين وكذا في التاريخ (س) وفي الديوان ص ١٦٢ بتحقيق نجم وص ٣٣٢ بتحقيق الأشتر (بستاه) على أنه جمع است ، وفيه أيضاً (شرائج الأستاه) جمع شريج ، وهي القوس المنشقّة فلقتين ؛ خلافاً لنُسَخ ابن عساكر .

(٣) البيتان في ديوانه ص ٣٣

(٤) عجز هذا البيت في الديوان ص ١٣٧ : « إذا انهزموا عجّلوا عجّلوا » .

(٥) المقصل : السيف .

(٦) هما أحمد وعلي .

وكانوا ينزلُونَ المُخَرِّم[1] ببغداد ، فقال يهجوهم كُلَّهم : [من الطويل]

ألا فـاشتَرَوا مِنِّي مُلـوكَ المُخَرِّمِ ... أبِعْ حسَناً وابنَيْ هشامٍ بـدرهمِ
وأُعْطِ رجـاءً بعـدَ ذاكَ زيـادةً ... وأغلـطْ بـدينـارٍ بغيرِ تَنـدُّمِ
فـإنْ رُدَّ مِن عَيْبٍ عليَّ جميعُهمْ ... فليسَ يَرُدُّ العَيْبَ يحيى بنُ أكثمِ[2]

وقال في يحيى بنِ أكثم يهجوه : [من مجزوء الخفيف]

رُفِـعَ الكلبُ فـاتَّضَـعْ ... ليسَ في الكلبِ مُصْطَنَـعْ
بلـغ الغـايـةَ التي[3] ... دونهـا كُـلُّ مرتفَـعْ
إنمـا قَصْرُ كُـلِّ شَيْـ ... ـءٍ إذا طـارَ أنْ يقَـعْ
قُـلْ ليحيى بنِ أكثمٍ ... إنَّ مـا خفتَ قـد وقَـعْ
لعنَ اللهُ نَخْـوةً ... كان مِن بعـدِهـا ضَرَعْ[4]

قال : وهؤلاء بنو أُهْبان مكلِّم الذئب ، وهم بنو عمِّه دِنْيَةَ قال فيهم : [من البسيط]

تِهْتُمْ علَينـا بـأنَّ الـذِّئْبَ كَلَّمَكُمْ ... فقَـدْ لَعمْرِي أبـوكم كَلَّمَ الـذِّيبـا
[٨٤/أ] فكيفَ لـوْ كَلَّمَ الليثَ الهَصُـورَ إذاً ... جعَلْتُمُ النـاسَ مـأكـولاً ومشروبـا
هـذا السُّنَيْـدِيُّ لا يَسْـوى إتـاوتَـهُ ... يكلِّمُ الفِيـلَ تصعيـداً وتَصْـويبـا
فـاذْهَبْ إليـكَ فـإنِّي لا أرى أبـداً ... ببـابِ دارِكَ طـلاَّبـاً ومَطْلُـوبـا[5]

قال : وهذا الهيثم بن عثمان الغنوي دَلَّ شعره على أنه كان محسناً إليه إذْ يقولُ فيه : [من البسيط]

---

(١) المخرِّم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلَّى ، نسبةً إلى مخرِّم بن يزيد ، إذْ كان ينزلها في بدء الإسلام قبل أن تعمر بغداد ، فسُمِّي الموضع باسمه . والأبيات والخبر في (معجم البلدان) .

(٢) الأبيات في ديوانه ص ١٨٧ ، باختلاف في الرواية ، ونسبت الأبيات لعمارة في « المحاسن والأضداد » ص ٥٤ .

(٣) في الأصل (الذي) وهو تصحيف ، وما أثبتناه من تاريخ ابن عساكر والديوان .

(٤) الأبيات في ديوانه ص ١٠١

(٥) الأبيات في القسم المختلط من شعره ص ١٦٨ وهي في « طبقات الشعراء » لابن المعتز ص ٢٩٥ ، وتروى لأبي سعد المخزومي في هجاء الأشعث بن جعفر الخزاعي ، وفي « ثمار القلوب » ص ٣٠٩ نسبت لرزين العروضي .

يا هيثماً يابْنَ عثمانَ الذي افتخرتْ ... بـــه المكارمُ والأيـــامُ تَفْتَخِرُ
أضحَتْ ربيعةُ والأحياءُ من يَمَنٍ ... تيهاً بتَجْدتِهِ لا وَحْدَها مُضَرُ[1]

وقال فيه يهجوه : [من الوافر]

ســـألتُ أبي وكانَ أبي عَليـــاً ... بســـاكنـــةِ الجـزيرةِ والسَّـوَادِ
فقلتُ : أهيثمٌ من حيِّ قيسٍ ... فقـــال : نعم كأحمـــدَ من دَوَادِ
فـــإنْ يَـــكُ هيثمٌ من حيِّ قيسٍ ... فـأحْمَـدُ غَيْرُ شَـكٍّ من إيـادِ[2]

وقال في أخيه رَزِين بن عليٍّ الخُزَاعيّ يهجوه : [من الطويل]

مهَـدْتُ لـــه وُدِّي صغيراً ونُصْرَتِي ... وقاسمتُهُ مـالي وبوَّأْتُـهُ حِجْري
وقـد كانَ يكفيـهِ من العيش كُلِّـهِ ... رجـاءٌ ويـأسٌ يرجعـانِ إلى فقري
وفيه عيوبٌ ليسَ يُحْصَى عِـدادُهـا ... فأصغرهـا عيبـاً يَجِلُّ عن الفِكْرِ[3]
ولـو أنني أبـديتُ للنـاسِ بعضَهـا ... لأصبحَ من بَصْـقِ الأحبَّـةِ في بَحْرِ
فدونكَ عِرْضي فاهْجُ حيّاً فـإنْ أمُتْ ... فـأُقْسِمُ إلاَّ مـاخَريتَ على قبري[4]

وقال في امرأته يهجوها : [من الكامل]

يـارُكْبَتَيْ خُـزَزٍ وسـاقَ نعـامـةٍ ... وزَبِيـلَ كنَّـــاسٍ ورأسَ بعيرِ[5]
يـــامَنْ أشبِّهُهَـــا بحُمَّى نـــافضٍ ... قطَّـــاعـــةٍ للظَّهْرِ ذاتِ زئيرِ
صُدْغاكِ قد شَمِطـا ونَحْرُكِ يـابسٌ ... والصَّدْرُ منـكِ كجُؤْجُؤِ الطُّنْبُورِ[6]

---

(١) البيتان في ديوانه ص ٨١

(٢) الأبيات في ديوانه ص ٦٧ وفيه : « فقلت له : أهيثم من عدي ؟ » عن « الفهرست » ١٤٥

(٣) كذا الأصل والتاريخ وفي الديوان (الكفر) وهو أشبه بالصواب ، انظر تخريجه فيه .

(٤) الأبيات في ديوانه ص ٨٣

(٥) الخَزز : ولد الأرنب . والزبيل : القفة .

(٦) الجؤجؤ : الصدر أو مجتمع عظامه ؛ والطنبور : آلة طرب معروفة ذات عنق طويل . فارسية (لسان) .

[٨٤/ب] يامَنْ مُعانِقُها يَبيتُ كأنَّهُ ... في مَحْبِسٍ قَمِلٍ وفي ساجورِ[١]
قَبَّلْتُها فوجدتُ طعمَ لثاتِها ... فوقَ اللثامِ كلسعةِ الزُّنْبُورِ[٢]

وله في امرأته هجاء قبيح ، وله في جاريته غزال يهجوها : [من المتقارب]

رأيتُ غَزالاً وقد أقبلَتْ ... فأبدَتْ لعينيَ عن مَبْصقَهْ
قُصَيِّرَةُ الخَلْقِ دَحْداحَةً ... تَدَحْرَجُ في المَشْيِ كالبُنْدُقَهْ[٣]
كأنَّ ذراعاً على كفِّها ... إذا حَسَرتْ ذَنَبُ المِلْعقَهْ[٤]
تُخطِّطُ حاجبَها بالمِدادِ ... وتربطُ في عَجْزِها مِرْفَقَهْ[٥]
وأنفٌ على وجهِها مُلْصَقٌ ... قصيرُ المناخِرِ كالفَسْتُقَهْ
وثَدْيانِ ثَدْيٌ كبَلُّوطةٍ ... وآخَرُ كالقِرْبَةِ المُفْهَقَهْ[٦]
وصدرٌ نحيفٌ كثيرُ العظامِ ... تُقَعْقِعُ من فَوْقِهِ المِخْنَقَهْ[٧]

ثم قال عبد الله بن طاهر لضَبِّي : فعلى مَنْ بقي هذا ؟ فقال ضبِّيّ : ما أحسبه إلاَّ كما قلت ، فعجبتُ من حفظه لهذه الأشياء . قال : فلقيت دعبلاً فخفت أن أذكر له شيئاً فضحكت ، فقال لي : ويلك ! قد تحاماني الناسُ وأنا عندك موضعُ مَطْنَزَةٍ[٨] وسخرية ! قلت : لا ، ولكني إنما ضحكت استبشاراً بالنظر إليك ؛ قال : ثم لَقيته من بعد فضحكتُ فقال لي : وَيْلَك ! أنت على ذاك الذي عهدت ، فالتفت إلى غلامه نَفْنَف فقال : خُذْ برجله

---

(١) المحبس : الستر يبسط على وجه الفراش للنوم . والساجور الخشبة التي توضع في عنق الكلب .
(٢) الأبيات في ديوانه ص ٨٩ ، ٩٠
(٣) الدحداحة : القصيرة غليظة البطن
(٤) في الأصل (المعلقة) تصحيف وما أثبتناه من التاريخ (س) والديوان .
(٥) المرفقة : المخدة .
(٦) المفهقة : الواسعة الممتلئة .
(٧) المخنقة : القلادة . والأبيات في ديوانه ص ١١١ ، ١١٢
(٨) المطنزة : من هانت عليه نفسه ، وطنز به : سخر به ، وقال الجوهري : أظنه مولداً أو معرباً (تاج العروس) .

ابن كذا وكذا ؛ قال : قلت : ياأبا علي ، إنْ هجرتَني وصَلْتُك ، وإنْ فصَلْتَني وددْتُك ، وإنْ جفَوْتَني زُرْتُك ، ولا سبيلَ إلى إخبارك بهذا الذي أنا فيه . فلمَّا تُوفِّي عبد الله بن طاهر لَقِيتُ دعبلاً يوماً بكَرْخ بغداد فضحكت ، فقال : ليس لضحكك هذا آخر ياابْنَ الفاعلة ؟! قال : فقلت له : امْضِ بنا فقد فرَّج [٨٥/أ] الله عني وعنك ، فذهبتُ به إلى منزلي ، فطعمنا وأخبرته الخبر على جهته ، فقال : ويلي على ابن العوراء الفاعلة ! والله لو أعلمتني قبل وفاته لأعلمتُكَ كيف كانت تكونُ حالُه ؛ قال : قلت : هو أبصر منك وأعرف بك إذْ أخذ عليَّ في أمرك ماأخذ . ثم أمسك متعجِّباً .

قال دِعْبِل :

أُدخلتُ على المعتصم فقال لي : ياعدوَّ الله ، أنت الذي تقولُ في بني العباس أنهم في الكتب سبعة ؟ وأمر بضرب عنقي ، وما كان في المجلس إلاَّ مَنْ كان عدوّاً لي ؛ وأشدُّهم عليَّ ابنُ شَكْلَة ، فقام قائماً فقال : ياأمير المؤمنين ، أنا الذي قلتُ هذا وغَيَّتُهُ إلى دعبل ؛ فقال له : وماأردتَ بهذا ؟ قال : لِمَا تعلمُ بيني وبينه من العداوة ، فأردتُ أنْ أشيطَ بدمه[1] . قال فقال : أطلقوه . فلما كان بعد مُدَّة قال لابن شَكْلَة : سألتُكَ بالله أنت الذي قُلْتَه ؟ فقال : لا والله ياأمير المؤمنين ، ومانظرةً أنظرُ أبغض إليَّ من دِعْبل . قال : فما الذي أردْتَ بهذا ؟ قال : علِم أن ماله في المجلس عدوٌّ أعدى مني ، فنظر إليَّ بعين العداوة ، ونظرت إليه بعين الرحمة . قال : فجزاه خيراً .

قال إسحاق بن محمد بن أبان :

كنت قاعداً مع دعبل بن علي بالبصرة ، وعلى رأسه غلام اسمه نَفْنَف ، فمرَّ به أعرابيٌّ يرفل في ثياب خزّ ، فقال لغلامه : ادْعُ هذا الأعرابيَّ إلينا ، فأومى إليه فجاء ، فقال له دعبل : ممَّنِ الرجل ؟ فقال : رجلٌ من بني كلاب . قال : من أيِّ بني كلاب ؟ قال : من وَلَد أبي بكر ، قال : أتعرف الذي يقولُ فيه : [من الطويل]

ونُبِّئْتُ كَلْباً من كلابٍ يَسُبُّني ... ومَحْضُ كلابٍ يقطَعُ الصلَواتِ
فإنْ أنا لَمْ أُعْلِمْ كلاباً بأنَّها ... كلابٌ وأني بـاسِلُ النَّقَماتِ

---

(١) أشاط بدمه : أذهبه وأهدره .

فكان إذاً من قَيْسِ عَيْلانَ والدي وكانَتْ إذاً أُمّي من الحَبِطـاتِ[1]

[٨٥ / ب] يعني بني تميم ، وهم أعدى الناس لليمن . وهذا الشعر لدعبل في عمرو بن عاصم الكلابي . فقال له الأعرابي : ممن أنت ؟ فكره أن يقول له من خُزَاعة فيهجوه ـ فقال : أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر : [من الطويل]

أنـاسٌ عليٌّ الخيرُ منْهمْ وجعفرٌ وحمزةُ والسَّجادُ ذو الثفِنـاتِ
إذا افتخرُوا يـوماً أتَـوْا بمحمـدٍ وجِبْرِيـلَ والقرآنِ والسُّـوراتِ[2]

وهذا الشعر أيضاً له . قال : فوثب الأعرابيُّ وهو يقول : محمد وجبريل والقرآن والسُّورات ! ماإلى هؤلاء مرتقى[3] !.

قال الأزرقيّ :

بلغ دعبلاً أنَّ أبا تمام هجاه لما قال قصيدته التي ردَّ فيها على الكُمَيت وهي : [من الوافر]

أفيقي مِن مَـلامِـك يـاظَعِينـا كفـاكِ الشيبَ مَرُّ الأربعينـا[4]

فقال أبو تمّام : [من الوافر]

نقَضْنـا للحُطَيئـة ألفَ بيتٍ كـذاكَ الحيُّ يغلبُ ألفَ مَيْتِ
كـذلـكَ دِعْبِـلٌ يرجـو سَفـاهـاً وحُمْقاً أنْ ينـالَ مـدى الكُمَيْتِ
إذا مـاالحيُّ نـاقضَ حَثْـوَ رَمْسٍ فـذلكمُ ابنُ فـاعلـةٍ بـزَيْتِ[5]

---

(١) الحبطات : أولاد الحارث بن عمرو بن تميم ، لقب بالحبط وبنو الحبطات لأنه أكل صمغاً كثيراً فحبط عنه أي ورم بطنه . والأبيات في ديوانه ص ٤٥

(٢) البيتان في ديوانه ص ٣٦ ، ٣٩ من قصيدته المشهورة في آل الرسول ﷺ .

(٣) الخبر والشعر في الأغاني ٣٩/١٨ ، ٤٠ و « تاريخ بغداد » ٣٨٣/٨ ، ٣٨٤

(٤) الديوان ص ١٤٨

(٥) الأبيات في « الأغاني » ٣١/١٨ بغير هذا السياق معزوة إلى أبي سعد المخزومي ، وكذا في « أخبار أبي تمام » للصولي ص ٢٦٨ ، وروي البيت الأخير في أمثال الميداني ١٠٩/١ . ولفظه : « إذا ماالحي هاجى حشو قبر » .

فقال دِعْبِل : [من السريع]

يـــاعجبـــاً من شـــاعرٍ مُفْلِـقٍ ... آبـــــــــاؤه في طَيِّئٍ تَنْمي
أُنبِئْتُـــــهُ يشتمُ من جَهْلِـــــهِ ... أُمّي ومـــــا أصبـــحَ من هَمّي
فقلتُ لكنْ حبّـــــذا أُمُّـــــهُ ... طـــــاهرةٌ زاكيـــــةٌ عِلْمي
كـــــذبتَ واللهِ على أُمِّـــــهِ ... ككِـــذْبِـــهِ أيضـــاً على أُمّي[1]

ورُويتْ هذه الأبيات لغير دعبل في أبي تَمّام .

قدم صِديق لدعبل من الحج ، فوعده أنْ يهديَ له نعلاً فأبطأتْ عليه فكتب إليه [٨٦/أ] : [من الوافر]

وعدتَ النَّعْلَ ثم صدَفْتَ عنها ... كأنَّـــكَ تبتغي شَتْماً وقَـــذْفـــا
فـــإنْ لم تُهـــد لي نَعْـــلاً فكُنْهـــا ... إذا أعْجَمْتَ بعـــد النونِ حَرْفـــا[2]

قال عون بن محمد :

لَمّا هجا دعبلٌ المطلب بنَ عبد الله الخُزَاعي فقال : [من البسيط]

اِضْرِبْ ندى طَلْحةِ الطَّلْحاتِ مُتَّئِداً ... بِبُخْـلِ مُطَّلِبٍ فينـــا وكُنْ حكَما
تخرجْ خـزاعـــةُ من لُـؤْمٍ ومن كَرمٍ ... فـلا تَعُـدُّ لها لُـؤْمـاً ولا كرَمـا[3]

فدعاه المطلب وقال : والله لأقتلنَّكَ لهجائك لي ، فقال له : فأشبعْني إذاً ولاتقتُلْني جائعاً ، فقال : قبَّحَكَ الله هذا أهجى من الأوّل . ثم وصله ، فحلف أنه يمدحُه ماعاش فقال فيه : [من المتقارب]

سألتُ النـدى لاعـدِمْتُ النَّـدَى ... وقـد كانَ منـا زمـانـاً عَـزَبْ
فقلتُ لـه : طـال عَهْـدُ اللِّقـا ... فهـل غِبْتَ بـــــاللهِ أمْ لم تَغِبْ

---

(١) الأبيات في الديوان ص ١٩٣

(٢) أي (نعلاً) وهو ولد الزنى . والبيتان في الديوان ص ١٠٧

(٣) البيتان في الديوان ص ١٣٩

فقـــال : بلى لم أزَلْ غـــائبـــاً ولكنْ قَـــدِمْتُ مـــع المُطَّلِبْ[1]

قـال : وفي هـذا الخبر مـادلٌ على دهـاء دعبلٍ ولطف حيلتـه ، وأنبـأ عن ذكاء المطلب ودقة فطنته

وقد رُوي مثل هذا عن معن بن زائدة وأُتي بجماعةٍ قد عـاثوا في عملـه ، فـأمر بقتلهم ، فقال أحدهم : أعيذك بالله أنْ تقتلنا عطاشاً ، فأمر بإحضار ماءٍ يسقونهم ، فلمَّا شربوا قـال : أيُّها الأمير لا تقتلْ أضيافك ، فقال : أوْلى لك . وأمر بتخليتهم .

ولـد دعبـل بن علي سنـة ثمـان وأربعين ومئـة ، ومـات سنـة ستٍ وأربعين ومئتين [بالطَّيْب][2] . فعاش سبعاً وتسعين سنة وشهوراً . واسمه عبد الرحمن ، وإنما لقَّبَتْـهُ دايتُـه لدُعَابةٍ كانت فيه ، فأرادت دِعْبِلاً ، فقَلبتِ الذالُ دالاً .

وقيل : إنَّ المعتصم قتله في سنـة عشرين ومئتين لهجـائـه لـه ؛ وكان قـد استجـار بقبر الرشيد بطُوس ، فلم يُجِرْه . والصحيح ماتقدَّم .

وقيل في سبب وفاته : [٨٦ / ب] إنه هجـا مـالـك بن طَوْق التغلبّي ، فبعث إليـه رجلاً ضَمِن له عشرة آلاف درهم ، وأعطاه سمّاً ؛ فلم يزَلْ يطلبُه حتى وجده قـد نزل في قريـةٍ بنواحي السُّوس[3] ، فاغتالـه في وقت من الأوقـات بعـد صلاة العَتَمـة ؛ فضرب ظهر قـدمـه بعكاز لهـازجٌ مسموم ، فـات من غـدٍ ، ودُفن بتلـك القريـة ، وقيل : بل حُمل إلى السُّوس فدفن بها .

---

(١) الأبيات في الديوان ص ١٣

(٢) من التاريخ (س) ٤٣/٦ آ ، و (د) ، و « تاريخ بغداد » ٣٨٥/٨ والطيب : بلدة بين واسط وخوزستان (معجم البلدان) وانظر الخبر التالي وحاشيته .

(٣) السوس : بلدة بخوزستان . واسم تلك القرية كما ذكرها البغدادي : (الطيب) انظر معجم البلدان .

١٠٠ ـ دَعْلَج بن أحمد بن دَعْلَج

ابن عبد الرحمن ، أبو محمد السِّجِسْتانيّ

الفقيهُ ، الثِّقَة ، نزيلُ بغداد . سمع بدمشق وبالرَّيّ وبالعراق .

روى عن موسى بن هارون بسنده عن علقمة بن وائل عن أبيه قال :

كان رسولُ الله ﷺ إذا ركع فرَّج أصابعَه ، وإذا سجد ضمَّ أصابعه الخمس .

كان دَعْلَجُ من ذوي اليَسار والبِرِّ والإفضال . وله صدقات جارية ووقوفٌ مُحْبَسَةٌ على أهل الحديث ببغداد ، ومكَّة ، وسِجِسْتان . وكان جاور بمكة زماناً ، ثم سكن بغداد واستوطن بها . وكان ثقةً ، ثَبْتاً . قَبِلَ الحُكَّامُ شهادتَه وأثبتوا عدالته . وجُمع له المسند ، وحديث شعبة ، ومالك ، وغير ذلك . وبعث بكتابه المسند إلى أبي العبَّاس بن عقدةَ لينظر فيه ، وجعل في الأجزاء بين كل ورقتين ديناراً . وكان أبو الحسن الدَّارَ قُطْنِيُّ هو الناظر في أصوله والمصنِّفَ له كتبه .

قال الدارَقُطْنِي :

صنَّفْتُ لِدَعْلَج المسندَ الكبير ، فكان إذا شكَّ في حديث ضرب عليه ، ولم أر في مشايخنا أثبتَ منه .

قال عليُّ بن عمر :

كان أبو محمد قليلَ الهُزْء ، سمعتُ أنَّ مُعِزَّ الدولة استرجع من غلامه خاشتكين[1] ، وأشهد عليه العدول وهو من وراء السِّتْر ، فشهدوا ، فلما شهد الناس قالوا لِدَعْلَج : اشْهَدْ ، قال : أين المشهود عليه ؟ لعلَّهُ مُقَيَّد [٨٧ / أ] لعلَّهُ مُكْرَه ، أبرِزوه لي حتى أراه ـ وكان خلف السِّتْر ـ فقال مُعِزُّ الدولة : ما كان فيهم مسلمٌ غَيْره .

قال أبو ذرّ :

وسمعتُ أنَّ أوَّلَ مالٍ أخذه معزُّ الدولة من المواريث مالُ دَعْلَج ، خلَّف ثلاثَ مئةِ ألفِ مثقالٍ ذهباً ، فقال معزُّ الدولة : مردغوا ما أريده[2] ، فقالوا : إنه كثير . فأخَذَه .

---

(١) كذا الأصل والتاريخ (د) و (س) ؛ وفي أغلب المصادر (افتكين) أو (هفتكين) . انظر ذيل تاريخ دمشق لحمزة بن القلانسي ١١ وما بعدها ، ووفيات الأعيان ٦٦/٨ فهارس .

(٢) كذا الأصل ولم أقف عليه . وفي التاريخ (د) : « مرد غراماً أيده » وكذا في (س) إلا أنه بالزاي « مزد » .

حدث بعضهم قال :

حضرتُ المسجد الجامع بمدينة المنصور يوم جمعة ، فرأيتُ رجلاً بين يدي في الصف ، حسَنَ الوقار ، ظاهرَ الخشوع ، دائمَ الصلاة ، لم يزَلْ يتنفَّلُ مُذْ دخل المسجد إلى قُرْب قيام الصلاة ، قال : ثمَّ جلس ، فعلَتْني هَيْبَتُه ، وداخلتني محبَّتُه ، ثم أُقيمت الصلاة ، فلم يَصلِّ مع الناس الجمعة ، فكَبُرَ عليَّ ذلك من أمره ، وتعجَّبْتُ من حاله ، وغاظني فعلُه ! فلمَّا قُضيت الصلاة تقدَّمْتُ إليه وقلت له : ما رأيتُ أعجبَ من أمْرك ، أطلْتَ النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيَّعْتَهَا !؟ فقال : ياهذا إنَّ لي عُذْراً ، وبي علَّةٌ منعتني من الصلاة ، قلت : وماهي ؟ قال : عليَّ دَيْنٌ اختفَيْتُ في منزلي مدَّةً بسببه ، ثم حضرتُ اليوم الجامعَ للصلاة ، فقبل أن تقام ، التفتُّ فرأيتُ صاحبي الذي له الدَّين عليَّ ، ورآني ، فمن خوفه أحدثتُ في ثيابي ، فهذا خبري ، فأسألك بالله إلاَّ سترتَ عليَّ وكتمت أمري ، فقلتُ : ومن الذي له عليك الدَّين ؟ قال : دَعْلَجُ بنُ أحمد . قال : وكان إلى جانبه صاحبٌ لِدَعْلَج قد صلَّى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ومضى في الوقت إلى دعلج ، فذكر له القصة ، فقال دَعْلج : امْضِ إلى الرجل واحْمِلْهُ إلى الحمَّام ، واطرَحْ عليه خِلْعةً من ثيابي ، وأجلسْهُ في منزلي حتى أنصرف من الجامع ؛ ففعل ذلك ؛ فلمَّا انصرف دعلَجُ إلى منزله أحضر الطعام وأكل هو والرجل ، ثم أخرج حسابه فنظر فيه ، وإذا له عليه خمسة آلاف درهم ، فقال له : انظُرْ ، لا يكونُ عليك في الحساب غلط ، أو نُسي لك نقده ؛ فقال الرجل : لا ، فضرب دَعْلج على حسابه وكتب تحته علامةَ الوفاء ؛ ثم أحضر [٨٧ / ب] الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال : أمَّا الحساب الأول فقد حلَّلْناكَ منه ، وأسألك أنْ تقبل هذه الخمسة آلاف درهم ، وتجعلنا في حِلٍّ من الرَّوْعة التي دخلَتْ قلبك برؤيتك إيَّانا في المسجد الجامع . أو كما قال[1] .

قال أبو الحسين أحمد بنُ الحسين الواعظ :

أُودِعَ أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشميُّ عشرةَ آلافِ دينار ليتيم ، فضاقَتْ يدُه وامتدَّت إليها ، فأنفقها ، فلمَّا بلغ الغلامُ مَبْلَغَ الرجال ، أمر السلطانُ بفكِّ الحَجْرِ عنه وتسليم ماله إليه ، وتقدَّم إلى ابن أبي موسى بحَمْلِ المال ليُسَلَّم للغلام . قال ابنُ أبي موسى : فضاقَتْ

---

(١) الخبر في تاريخ بغداد ٣٨٩/٨ ، ٣٩٠

عليَّ الأرض ، وتحيَّرْتُ في أمْري ، فبكَّرْتُ وركبتُ بغلتي وقصـــدتُ الكَرْخَ لا أعلمُ أين أتوجَّه ، فانتهَتْ بيَ البغلة إلى دَرْب السَّلُولي ، ووقفتُ على باب مسجدِ دَعْلج بن أحمد ، فدخلتُ المسجد فصلَّيتُ خلفه صلاة الفجر ، فلمَّا سلَّم انفتل إليّ ورحَّب بي ، وقام وقمتُ معه ، ودخل إلى داره ، فجلسنا وجاءَتْه جاريتُه بمائدةٍ لطيفة وعليها هريسة فقال : يأكل الشريف ، فأكلتُ وأنا لاأُحصِّلُ أمري ، فلمَّا رأى تقصيري قال : أراك منقبضاً فما الخبَر ؟ فقصَصْتُ عليه القِصَّة ، فقال : كُلْ فإنَّ حاجتك تُقضى ، ثم أحضر حَلْواء فأكلنا ، فلمَّا رُفع الطعام قال : ياجارية ؛ افتحي ذلك الباب ، فإذا خزانةٌ مملوءةٌ زُبُلاً مجلَّدة[1] ، فأخرج إليَّ بعضَها وفتحها إلى أنْ أخرجَ النقد الذي كانتِ الدنانيرُ منه ، واستدعى الغلام والتَّخْتَ والطيَّار[2] ، فوزن عشرة آلاف دينار ، وبدَرَها وقال : يأخذُ الشريف هذه ، فقلت : يثبتُها الشيخ عليّ ، فقال : أفعل ، وقمتُ وقد كاد عَقْلي يطيرُ فرحاً . وعدتُ إلى داري ، وانحدَرْتُ إلى دار السلطان بقلبٍ قويّ ، فقلت : ماأظنُّ إلا أنه قد استشعر فيَّ أني قد أكلتُ مالَ اليتيم ، فأحضر قاضيَ القضاة ، والشهود ، والنُّقَباء ، وولاة العهود ، وأحضر الغلام وفكَّ حَجْرَه ، وسلَّم المالَ [٨٨ / أ] إليه ، وعظَّم الشكر لي والثناءَ عليّ .

فلمَّا عدتُ إلى منزلي استدعاني أحَدُ الأمراء من أولاد الخليفة ـ وكان عظيمَ الحال ـ فقال : قد رغبتُ في معاملتك وتَضْمينك أملاكي ببَادُوريا ونَهْر الملك[3] . فضمِنْتُ ذلك بما تقرَّر بيني وبينه من المال ، وجاءتِ السنة ووفَّيْتُه ، وحصل في يدي من الربح مالَه قدرٌ كبير . وكان ضماني لهذه الضياع ثلاث سنين ، فلمَّا مضَتْ حسبت حسابي وقد تحصَّل في يدي ثلاثون ألف دينار ، فعزلْتُ عِوضَ العشرة آلاف دينار التي أخذتُها من دَعْلَج وحملتُها إليه ، وصلَّيتُ معه الغداة ؛ فلما انْفَتل من صلاته ورآني نهض معي إلى داره ، وقدَّم المائدة والهريسة ، فأكلتُ بجأْشٍ ثابت وقلبٍ طيِّب ؛ ثم قال لي : خبرك وحالك ؟ فقلت : بتفضُّل الله وفضلك قد أفَدْتُ بما فعلتَ معي ثلاثين ألفَ دينار ، وهذه منها عشرة آلاف

---

(١) الزُّبل : جمع زَبيل وهو الجراب أو الوعاء يحمل فيه أو القفة . (لسان) .

(٢) التخت : الكرسي أو المقعد . والطيَّار : ميزان الدراهم .

(٣) بادوريا : ناحية من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد . ونهر الملك : كورة واسعة ببغداد أيضاً بعد نهر عيسى ، يقال إنه يشتملُ على ثلاث مئةٍ وستين قرية . انظر معجم البلدان .

دينار عِوضَ الدنانير التي أخذتُها منك ، فقال : ياسبحان الله ! والله ماخرجتِ الدنانير عن يدي ونويتُ آخُذُ عِوَضَها ، حَلَّ بها الصبيان ؛ فقلت له : أيها الشيخ ! أيُش أصْلُ هذا المال حتى تهبَ لي عشرةَ آلافِ دينار ؟ فقال : نشأتُ وحفِظْتُ القرآن ، وسمعتُ الحديث ، وكنتُ أتبزَّز ، فوافاني رجلٌ من تجَّار البحر ، فقال لي : أنت دَعْلَج بن أحمد ؟ فقلت : نعم ، فقال : قد رغبتُ في تسليم مالي إليك لِتتَّجِرَ به ، فما سهَّل الله من فائدة كانت بيننا ، وما كان من جائحة كانت في أصْلِ مالي ؛ وسلَّم إليَّ بارنامجات بألف ألف درهم[1] ، وقال لي : ابسُطْ يدك ، ولاتعلمْ موضعاً يُنفَقُ فيه هذا المتاع إلاَّ حملتَهُ إليه . واستبنتُ فيه الكفاءة ، ولم يزَلْ يتردَّدُ إليَّ سنةً بعد سنة ، يحمِلُ إليَّ مثل هذا ، والبضاعة تَنْمي . فلمَّا كان في آخر سنةٍ اجتمعنا فيها قال لي : أنا كثيرُ الأسفار في البحر ، فإنْ قضى الله عليَّ بما قضاهُ على خلقه فهذا المالُ لك على أنْ تتصدَّق منه وتبنيَ المساجد وتفعلَ الخير . فأنا أفعل مثل هذا ، وقد ثَمَّرَ الله المالَ في يدي ، فاطْوِ هذا الحديث أيامَ حياتي[2] . [٨٨ / ب]

تُوفِّي دَعْلَج في سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة ، وقيل سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة وهو ابنُ أربعٍ أو خمسٍ وتسعين سنة ببغداد . وكان السلطانُ بها لا يتعرَّضُ للتِّركات ، ثم لم يصبروا عن أموال دعلج إذْ لم يكنْ في الدنيا على ما يُقال أيسرَ منه من التجَّار ، فقبضوا على أمواله إلاَّ الأوقاف .

١٠١ ـ دَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ بنِ زَيْد[3]

ابن عَبْده بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شَيْبانَ بنِ ذُهْل بن ثعلبةَ بنِ عُكَابَة
ابن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِيّ
ابن جديلة بن أسَد بن ربيعةَ السَّدُوسِيُّ ، الذُّهْلِيُّ ، الشَّيْبانيُّ ، النسَّابة

يُقال : إنَّ له صُحْبة ، ويقال : لاصُحْبَةَ له . استقدمه معاويةُ ، فقدِمَ عليه ، وأمَرَهُ أنْ يعلِّمَ ابنَهُ يزيد .

---

(١) بارنامجات : جمع بارنامج ، معرَّب (بارنامه) وهي الورقة الجامعة للحساب .

(٢) الخبر بطوله في « تاريخ بغداد » ٣٩٠/٨ ـ ٣٩٢ ، وفي « طبقات الشافعية » للسبكي ٢٢٢/٢ ، ٢٢٣ مختصراً .

(٣) كذا في « الإصابة » ت ٢٣٩٩ وتهذيب التهذيب ٢١٠/٣ . وفي « البيان والتبيين » ١٣٠/١ و « جمهرة الأنساب » لابن حزم ص ٣١٩ و « المستقصى » للزمخشري ٢٥٢/١ : (يزيد) .

روى الحسن عن دَغْفَل

أنَّ النبيَّ ﷺ تُوفِّي وهو ابنُ خمسٍ وستين سنة .

وحدَّث الحسن عن دَغْفَل قال :

كان على النصارى صَوْمُ شهر رمضان ، فمرِضَ ملكٌ منهم فقال : لئنْ شفاه الله ليزيدَنَّ عشرةَ أيام ؛ ثم كان ملكٌ بعده ، فأكل لحماً فوجِعَ فاهُ ، فقال : لئنْ شفاهُ الله ليزيدَنَّ سبعة أيام ؛ ثم كان ملكٌ بعدَه فقال : ما نَدَعُ هذه الثلاثة الأيام أنْ نُتِمَّها ونجعلُ صومها[1] في الربيع . ففعل ، فكانت خمسين يوماً .

وقد روى ذلك مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ .

قال عبد الله بن بُرَيدة :

أرسل معاوية إلى دَغْفَل ، فسأله عن أنساب العرب ، وعن النجوم ، والعربية ، وعن أنساب قريش ، فأخبره ، فإذا رجلٌ عالم ، فقال : من أين حفِظْتَ هذا يادَغْفَل ؟ قال : بلسانٍ سؤول ، وقلب عَقُول[2] ؛ وإنَّ آفة العلم النسيان . قال : فأمرَهُ أن يذهب إلى يزيد فيعلِّمَه العربيَّة ، وأنساب قريش ، وأنساب العرب . وفي رواية : والنجوم .

وقيل : قال معاويةُ لدَغْفَل : بمَ ضبطتَ ماأرى ؟ قال : بمفاوضة العلماء ، قال : وما مفاوضة العلماء ؟ قال : كنت إذا [٨٩ / أ] لَقِيتُ عالماً أخَذْتُ ماعنده ، وأعطيتُه ماعندي .

قال ابنُ عباس : حدَّثني عليُّ بن أبي طالب مِنْ فيهِ قال :

لَمَّا أمر الله تعالى رسولَهُ ﷺ أنْ يَعْرِضَ نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه وأبو بكر ، فدَفَعْنا إلى مجلسٍ من مجالس العرب ؛ فتقدَّم أبو بكر ـ وكان مقدَّماً في كُلِّ خَيْر ، وكان نسَّابة ـ فسلَّم وقال : ممَّن القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، قال : وأيُّ ربيعةَ أنتم ؟ أمِنْ هامها أم من لَهَازِمِها[3] ؟ فقالوا : بل من الهامةِ العظمى ، فقال أبو بكر : وأيُّ هامتها

(١) في تاريخ ابن عساكر (صومنا) وكذا في « ميزان الاعتدال » ٨٢٧/٢

(٢) ويروى لعبد الله بن عباس . قال الجاحظ : عبد الله أولى به منه . انظر « البيان والتبيين » ٨٤/١ ، ٨٥

(٣) أي : من أشرافها أو من أوساطها ؛ واللهازم : أصول الحنكين واحدتها لَهْزِمة ، فاستعارها لوسط النسب والقبيلة . (لسان) .

العظمى أنتم ؟ قالوا : من ذُهْلِ الأكبر ، قال : منكم عَوْف الذي قال : لاحُرَّ بوادي عَوْف[1] ؟ قالوا : لا ، قال : منكم جسَّاسُ بن مُرَّة ، حامي الذِّمَار ومانعُ الجار ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم بِسْطامُ بن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكمُ الحَوْفَزَان[2] قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكمُ المُزْدَلِفُ[3] صاحبُ العِمَامة الفَرْدَة ـ سُمِّي صاحبَ العمامة الفَرْدَة لأنه كان إذا ركب لم يعتمَّ معه غَيْرُه ـ قالوا : لا ، قال : فمنكم أخوالُ الملوك من كِنْدَة ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم أصهار الملوك من لَخْم ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : فلستم ذُهْل الأكبر ، أنتم ذُهْل الأصغر . قال : فقام إليه غلامٌ من بني شيبان ، يقالُ له دَغْفَل حين بقل وَجْهُه[4] فقال : [من الرجز]

إنَّ على سائِلِنا أنْ نَسْأَلَهْ والعِبْءُ لاتعرفُهُ أو تَحْمِلَهْ

ياهذا ! إنك سألتنا فأخبرناك ولم نَكْتُمْكَ شيئاً ، فممَّنِ الرجل ؟ قال أبو بكر الصديق : أنا من قريش ، فقال الفتى : بَخٍ بَخٍ ! أهل الشرف والرئاسة ! من أيِّ القرشيِّينَ أنت ؟ قال : من ولد تَيْم بن مُرَّة ، فقال الفتى : أمُكِّنْتَ والله الرامي من سَواء الثَّغْرَة[5] ، أمنكم قُصَيٌّ الذي جمع القبائل من فِهْر فكان يُدْعَى في قريشٍ مُجَمِّعاً ؟ قال : لا ، قال : منكم هاشم الذي هشم الثريدَ لقومه : [من الكامل]

ورجالُ مَكَّةَ مسنتون عجافُ[6] ؟

---

(١) أي : لاسيد يناوئه ، وهذا من أمثالهم ، يعني أنه يقهر من حلَّ بواديه ؛ يضرب للعزيز الذي يذل له الأعزاء . وعوف هو ابن مُحَلِّم بن ذهل بن شيبان . انظر « مجمع الأمثال » ٢٣٦/٢ و « المستقصى » ٢٦٢/٢ و ٤٣٧/١ واللسان « عوف » .

(٢) سمي بذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ، فعرج من تلك الحفزة . وكل ماقلعته عن موضعه فقد حفزته . (لسان) والاشتقاق ص ٣٥٨

(٣) قال المصنف في « اللسان » مادة (زلف) : سمي المزدلف لاقترابه إلى الأقران وإقدامه عليهم . وقال ابن دريد في « الاشتقاق » ص ٣٥٨ لأنه قال لقومه وهو في حرب : ازدلفوا قيد رمحي ، أي اقتربوا .

(٤) أي : أول مانبتت لحيته .

(٥) سواء الثغرة : أي وسط الثغرة ، وهي نقرة النحر فوق الصدر . (لسان) .

(٦) صدره : « عمرو الذي هشم الثريد لقومه » لعبد الله بن الزبعرى أو أحد العرب قاله في هاشم ، وإنما كان اسمه عمراً ، فما سمي هاشماً إلا بهشمه الخبز بمكة . انظر سيرة ابن هشام ١٢٦/١

قال : لا ، قال : فمنكم شَيْبَةُ الحَمْد عبد المطلب ، مطعِمُ طير السماء ، الذي كأنَّ وجهَهُ [٨٩ / ب] القمر يضيءُ في الليلة الداجية الظلماء ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهْل السِّقاية أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل النَّدْوة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهْلِ الرِّفادة أنت ؟ قال : لا . واجتذب أبو بكرٍ زمامَ الناقة راجعاً إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال الغلام : [من الرجز]

صادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ دَرْءاً[1] يَدْفَعُهْ يَهيضُهُ حيناً وحيناً يَصْدَعُهْ[2]

أما والله لو ثبت لأخبرتك مَنْ قريش . قال : فتبسَّم رسولُ الله ﷺ . قال عليّ : فقلتُ : يأبا بكر ! لقد وقعتَ من الأعرابيِّ على باقِعَة[3] ، قال : أجل أبا حَسَن ، ما من طامَّةٍ إلاَّ وفوقها طامَّة ، والبلاءُ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِق[4] .

قال : ثم رجعنا إلى مجلس آخر ، عليهم السكينةُ والوقار ، فتقدَّم أبو بكر ، فسلَّم فقال : ممَّنِ القوم ؟ قالوا : من بني شيبانَ بنِ ثعلبة ، فالتفت أبو بكرٍ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : بأبي وأمي ! هؤلاء غُرَرُ الناس وفيهم مَفْروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمُثَنَّى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ؛ وكان مفروق قد غلبهم جمالاً ولساناً ، وكانت له غَديرتان تسقطان على تَريبته ، وكان أدنى القومِ مجلساً ؛ فقال أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال مَفْروق : إنَّا لنزيدُ على ألف ، ولن يغلبَ ألفٌ من قِلَّة ؛ فقال أبو بكر : وكيف المَنَعةُ فيكم ؟ فقال مفروق : علينا الجهْد ، ولكلِّ قومٍ جِدّ ؛ فقال أبو بكر : كيف الحربُ بينكم وبين عدوِّكم ؟ فقال مفروق : إنَّا لأشدُّ ما نكونُ غضباً حين نُلْقى ، وإنَّا لأشدُّ ما نكونَ لقاءً حين نغضب ، وإنَّا لنُؤْثِرُ الجيادَ على الأولاد ، والسلاح على اللِّقاح ، والنصر من عند الله ، يُدِيلُنا مرَّةً[5] ويُديل علينا أخرى ، لعلَّكَ أخا قريش .. فقال أبو بكر : قد بلغكم أنه رسولُ الله ، ألا هو ذا ، فقال مفروق : بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلا [٩٠/أ] مَ

---

(١) في الأصل : (ردءاً) وما أثبتناه من التاريخ (س) ٤٧/٦ ب ، و (د) ، ولسان العرب وفيه : يقال للسيل إذا أتاك من حيث لاتحتسبه : سيل درء ، أي يدفع هذا ذاك وذاك هذا .

(٢) أي يكسره مرة ويشقه أخرى . والبيت في اللسان (درأ ، هيض)

(٣) الباقعة : الرجل الداهية .

(٤) فذهب مثلاً ؛ وأبو بكر أول من قاله رضي الله عنه . انظر « مجمع الأمثال » ١٧/١

(٥) يديلنا : ينصرنا .

يدعو ياأخا قريش ؟ فتقدَّم رسولُ الله ﷺ فجلس ، وقام أبو بكرٍ يُظلُّه بثوبه ، فقال رسولُ الله ﷺ : أدعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لاشريكَ له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وإلى أن تُؤْوُوني وتنصروني ، فإنَّ قريشاً قد ظاهرَتْ على أمْرِ الله وكذَّبَتْ رسُلَه ، واستغنَتْ بالباطل عن الحق ، والله هو الغنيُّ الحميد . فقال مفروق بن عمرو : إلامَ تدعونا [يا] أخا قريش ، فوالله ما سمعتُ كلاماً أحسنَ من هذا ؟ فتلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ قُلْ تعالَوْا أَتْلُ ماحرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وصَّاكُمْ بِهِ لَعلَّكُمْ تتَّقُون ﴾[1] فقال مفروق : وإلامَ تدعو ياأخا قريش ، فوالله ماهذا من كلام أهل الأرض ؟ قال : فتلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ إنَّ الله يأمرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى ، وينهى عن الفحشاء والمُنْكَرِ والبَغْي ، يَعِظُكُمْ لعلَّكُمْ تَذكَّرون ﴾[2] . فقال مفروق بن عمرو : دعَوْتَ والله ياأخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفِكَ قومٌ كذَّبوك وظاهروا عليك . وكأنَّه أحبَّ أن يشركه في الكلام هانئُ بن قَبيصة فقال : وهذا هانئٌ شيخُنا وصاحبُ ديننا ، فقال هانئ : قد سمعتُ مقالتك ياأخا قريش ! وإني أرى إنْ تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلسٍ جلستَه إلينا ليس له أولٌ ولا آخر ، إنه زلَلٌ في الرأي وقِلَّةُ نظرٍ في العاقبة ، وإنما تكونُ الزَّلَّةُ مع العَجَلة ؛ ومِنْ ورائنا قومٌ نَكْرَهُ أنْ نعقد عليهم عقداً ، ولكنْ ترجعُ ونرجعُ ، وتنظرُ وننظر . وكأنه أحبَّ أنْ يشركه المثنى بنُ حارثة ، فقال : وهذا المثنى بنُ حارثة شَيْخُنا وصاحبُ حربنا ، فقال المثنى بن حارثة : قد سمعتُ مقالتك ياأخا قريش [٩٠/ب] والجواب فيه جوابُ هانئ بن قَبيصة في تركنا ديننا ومتابعتك على دينك ، وإنَّا إنما نزلنا بين ضرَّتَيْن : اليمامة والشُّمامة . فقال رسولُ الله ﷺ : ماهاتانِ الضرَّتان ؟ فقال : أنهارُ كسرى ومياهُ العرب ، فأمَّا ماكان من أنهار كسرى فذَنْبٌ صاحبه غَيْرُ مغفور ، وعُذْرُه غير مقبول ؛ وأمَّا ماكان ممَّا يلي مياه العرب فذَنْبٌ صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ؛ وإنَّا إنما نزلنا على عَهْدٍ أخذه علينا : أنْ لانُحْدِثَ حدثاً ، ولانُؤْوي مُحْدِثاً ؛ وإني أرى أن هذا الأمْرَ الذي تدعونا إليه ياقرشيّ ممَّا يكرهُ الملوك ، فإنْ أحببتَ أنْ نُؤْوِيَكَ وننصرَكَ مما يلي مياه العرب فعلنا . فقال رسولُ الله ﷺ : ماأسأتم في الرَّدِّ إذْ أفصحتم بالصدق ، وإنَّ دين الله لن ينصُرَهُ إلاَّ مَنْ حاطَهُ من جميع

---

(١) سورة الأنعام ١٥١/٦ ـ ١٥٣ وما بين معقوفين من التاريخ (س) ٤٨/٦ أ .

(٢) سورة النحل ٩٠/١٦

جوانبه ، أرأيتم إنْ لم يلبثوا إلاّ قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ، ويفرشكم نساءهم ، أتسبّحون الله وتُقدّسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهمّ ولك ذلك . قال : فتلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ إنّا أرْسَلناكَ شاهداً ومُبَشّراً ونَذيراً ، وداعياً إلى الله بإذْنِه وسِراجاً منيراً ﴾[1] . ثم نهض رسولُ الله ﷺ قابضاً على يَدَيْ أبي بكرٍ وهو يقول : يا أبا بكر ! أيّةُ أخلاقٍ في الجاهليّة ! ما أشرفها ! بها يدفع الله عزّ وجلّ ، ناسٌ بعضهم من بعض ، وبها يتحاجزونَ فيما بينهم .

قال : فدَفَعنا إلى مجلس الأوْسِ والخَزْرَج ، فما نهضنا حتى بايعوا رسولَ الله ﷺ . قال : فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ وقد سُرَّ بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم .

مرَّ نفَرٌ من الأنصار بدَغْفَل النسّابة بعدما ذهب بصَرُه ، فسلّموا عليه ، فقال : مَنْ أنتم ؟ قالوا : أشراف أهل اليمن [٩١ / أ] قال : من أهل مُلْكها القديم وشرفها الصميم ، كِنْدَة ؟ قالوا : لا ، قال : فمن الطوال قصباً والمُمَحَّضينَ نسباً بني عبد المَدَان ؟ قالوا : لا ، قال : فمِنْ أقْوَدِها للزُّحوف ، وأخْرَقِها للصفوف ، وأضربها بالسيوف ، بني زُبَيد رَهْطِ عمرو بن مَعْدِ يكرب ؟ قالوا : لا ، قال : فمِنْ أحضَرِها قِراءً ، وأطنبِها فناءً ، وأصْدَقِها لقاءً ، طَيِّئ ؟ قالوا : لا ، قال : فمِنَ الغارسين النخل ، والمطعمين في المَحْل ، والقائلين بالعَدْل ، الأنصار ؟ قالوا : نعم .

قال أبو عُبَيدة مَعْمَرُ بن المثنى :

جاء قومٌ من بني سعد بن زَيْدِ مناة تميم إلى دَغْفَل النسّابة ، فسلّموا عليه وهو مُولٍ ظهره للشمس في مَشْرَقَةٍ[2] له ، فردَّ عليهم من غير أنْ يلتفتَ إليهم ، ثم قال لهم : مَنِ القوم ؟ قالوا : نحن سادة مُضَر ، قال : أنتم إذاً قريشُ الحَرَم ، أهْلُ العز والقِدَم ، والفَضْل والكرم ، والرَّأْيِ في البُهَم[3] ، قالوا : لسنا منهم ، قال : لا ؟ قالوا : لا ؛ قال : فأنتم إذاً هوازن ، أجْرَؤُها فوارس ، وأجملها مجالس ؛ قالوا : لَسْنا بهم ، قال : لا ؟ قالوا : لا ؛ قال : فأنتم إذاً سُلَيم ، فوارسُ عِظَاظِها[4] ، ومِنَاعُ أعراضِها ، قالوا : لَسْنا بهم ، قال : لا ؟

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣/٤٥ ، ٤٦

(٢) المشرقة : موضع القعود للشمس . (لسان) .

(٣) البهم : جمع بُهْمة . وهي مشكلات الأمور . (لسان) .

(٤) العظاظ : شدة المكاوحة والشقة والشدة في الحرب (قاموس) .

قالوا : لا ؛ قال : فأنتم إذاً غَطَفان ، أعظَمُها أحلاماً ، وأسرعُها إقداماً ، قالوا : لَسْنا منهم ، قال : لا ؟ قالوا : لا ؛ قال : فأنتم إذاً بنو حَنْظَلَة ، أكرمُها جدوداً ، وأسهَلُها خدوداً ، وألْيَنُها جلوداً ، قالوا : لَسْنا بهم ، قال : لا ؟ قالوا : لا . قال : أفلا أراكم إلاَّ من ربعات مُضَر وأنتم تأبَوْنَ إلاَّ أن تترقَّوْا في الغلاصم منهم ، اذْهبوا لا كثَّر الله بكم من قِلَّة ولا أعزَّ بكم من ذِلَّة .

قال الأصمعيّ :

النسَّابون أربعة : دَغْفَل ، وأبو ضَمْضَم[1] ، وصُبْح[2] ، والكيِّسُ النَّمَريّ[3] .

قيل للنسَّاب البكريّ : قد نسَبْتَ كُلَّ شيءٍ حتى نسبت الذَّرّ ! قال : الذَّرُّ ثلاثة أبْطُن : الذَّرّ ، وفازر[4] ، وعُقْفَان .

قال رُؤْبة بن العجّاج :

دخلتُ على النسَّابة البكريّ[5] ، فقال : من أنت ؟ قلتُ : رُؤْبة بن العجّاج ، قال : قُصِرْتَ وعَرفت ، لعلك كأقوامٍ [٩١/ب] يأتوني إنْ حدَّثْتُهم لم يعوا عني ، وإنْ سكتُّ عنهم لم يسألوني ، قال : قلت : أرجو أنْ لا أكونَ كذلك ، فقال لي : فما أعداءُ المروءة ؟ قلت : تخبرني ، قال : بنو عمِّ السوء ، إنْ رأوا حسناً دفنوه ، وإنْ رأوا سَيِّئاً أذاعوه . ثم قال : إنَّ للعلم آفةً وهُجْنَةً ونكداً ؛ فآفَتُه الكذب ، ونَكَدُهُ النسيان ، وهُجْنَتُه نشره عند غير أهله[6] .

---

(١) في « البيان والتبيين » ٣٠٤/١ : (عميرة أبو ضمضم) وفي المعارف ص ٢٣٣ : (عمير بن ضمضم) .

(٢) في « البيان والتبيين » ٣٠٤/١ : (صبح الحنفي) وفي « الفهرست » ص ١٠٢ : (صالح الحنفي) .

(٣) في « البيان والتبيين » ٣٠٤/١ : (ابن الكيس النمري) وهو زيد ، روى هو وأبو الكيس عن عُبيد بن شرية كما في « الفهرست » ١٠٢

(٤) في الأصل (قارن) وفي التاريخ (قان) وكلاهما تصحيف ، وما أثبتناه من اللسان (عقف) ونصه : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر ، فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقر » وانظر الحيوان للجاحظ ١٤/٤

(٥) ورد اسم النسابة البكري في « الفهرست » ص ١٠١ على أنه غير دغفل ، وقال : كان نصرانياً . لكن ورود هذا الخبر والأخبار الأخرى تدل على أنه واحد ؛ وقد ورد أن رؤبة روى عن دغفل بن حنظلة النسابة البكري في « تهذيب التهذيب » ٢٩٠/٣ وكذا ورد اسمه في « البيان والتبيين » ٣٦٢/١ ، والبكري نسبة إلى بكر بن وائل أحد أجداده كما مر . وسوف يرد هذا الخبر في هذا الجزء ترجمة رؤبة بن العجاج ص ٣٣٦

(٦) الخبر في « عيون الأخبار » ١١٨/٢

قال دَغْفَل العلامة : في العلم خصال : إنَّ له آفةً ، وله هجنة ، وله نكد : فآفتُه أنْ تحزَنَه ، فلا تحدِّثْ به ولا تنشرْه ؛ وهجنتُهُ أنْ تحدِّثه مَنْ لا يعيه ولا يعملُ به ؛ ونكَدُهُ أنْ تكذبَ فيه .

قيل : إنَّ دَغْفَلاً غرق في يوم دَوْلاب[1] من فارس في قتال الخوارج .

١٠٢ ـ دُكَيْن بن سعيد الدَّارِميّ

التميميّ ، ويقال : ابن سعد بن زيد مناة بن تميم الدارميُّ الرّاجز

من أهل البصرة . وفد على عمر بن عبد العزيز .

قال سعيد بن عمرو بن جَعْدَة :

لما ولي عمر بن عبد العزيز المدينة كان ينقطعُ إليه رجلٌ من بني دارم ، يقالُ له دُكين بن سعيد ، يسامرُه بالليل مع أبي عون وسالم ، فقال له ليلةً : إني لأرى لك هيئة ماالدنيا عنك بمنقطعةٍ حتى تليَ ولايةً أجشم من هذه ، قال : وماعلمك ؟ قال : ماهي إلاَّ فراسة ، فما عليك إن كان ذلك ؟ قال : إنْ كان ذلك أحسنتُ إليك ، قال : هاتِ يدَك ، فأعطاه يده .فلمَّا وُلِّيَ عُمَرَ الخلافة انقطع إليه دُكين . فاستأذن فقال له البواب : إنه عنك في شغل ، إنه في ردِّ المظالم ، فأعدَّ أبياتاً لخروج عُمَر إلى الصلاة ، ثم ناداه نداء الأعرابي : [من مشطور الرجز]

يـــــا عُمَرَ الخيراتِ ذا المكارمِ ... وعُمَرَ الـدَّسَـائـعِ العظـائمِ[2]
إني امرؤٌ من قَطَنِ بنِ دارمِ ... أَنْشُـدُ حـقَّ المُسْلِمِ المُسَـالمِ
بَيْـعَ يمينٍ بـالإخـاءِ الـدائمِ ... إذْ تَنْتَجي والله غَيْرُ نـائمِ
[٩٢/أ] ونحن في ظُلْمَةِ ليلٍ عاتمِ ... عنـد أبي عَـوْنٍ وعنـد سـالمِ[3]

---

(١) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ (معجم البلدان) وانظر « الكامل » لابن الأثير ١٩٤/٤ ، ١٩٥

(٢) الدسائع : جمع دسيعة ، وهي العطية الجزيلة ، والجفنة الكبيرة ، والمائدة . (لسان) .

(٣) الأبيات في « الشعر والشعراء » ص ٥١٠ و « معجم الأدباء » ١١٨/١١ والأغاني ١٥٥/٨ ط بولاق . وأورد المصنف منها ثلاثة أبيات في اللسان (كرم) وفيه : « أطلب دَيْني من أخ مكارم » بدل « أنشد ... » .

قال : فعرف عمر القضيّة ، فدخل على أمّهاتِ أولاده ، فما زال يجمعُ له من عندهنَّ العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاثَ مئة ؛ وكانت من عمر عطيَّة .

ومن شعر دُكين : [من الرَّمَل]

رُبَّ أمرٍ تَشْرَقُ النفسُ بِـــــهِ ... جاءَهـا من خَلَلِ البـابِ الفَرَجْ
وديـاجي مُطْبِـقٌ إظـلامُهـا ... مـزَّقَ الصبـحُ دُجـاهـا فبلَـجْ
لاتكُنْ من وَشْـكِ رَوْحٍ آيـساً ... فكأنْ قَـدْ فُرِّجَتْ تلـكَ الرُّتُـجْ[1]
بينمـا المَرْءُ كئيبٌ مُـوجَـعٌ ... جـاءَهُ اللهُ بفتـحٍ فبَهَـجْ
قلَّما أدْمَنَ قَرْعـاً قـارعٌ ... غُلِّـقَ الأبـوابِ إلاَّ سَيَلِـجْ

وروى بسنده عن محمد بن الحسين

أنه أنشد لدُكَيْن الراجز : [من الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فكلُّ رداءٍ يرتـديـهِ جَميـلُ
وإن هو لَمْ يدنَسْ من اللُّؤْمِ نفسه ... فليس إلى حُسْنِ الثنـاءِ سَبيـلُ[2]

قال أبو عبيدة :

ابْتَنى رجلٌ من بني مَخْزُوم[3] ، وكان ينزلُ ضاحيـةَ بني تميم فوافى دُكين الراجز ، فقال للبواب إني ألاَعُ إلى السُّخْنِ[4] فأدْخِلْني ، فأبى البواب أنْ يدخلَه ؛ فوقف دُكين على دكان وقد انصرف بعضُ القوم وأنشأ يقول : [من مشطور الرجز]

اجتمـعَ النـاسُ وقـالـوا عُرْسُ ... إذا قِصَـاعٌ كالأكُفِّ خَمْسُ
زَبَحْلَحـاتٌ قـد جُمِعْنَ مُلْسُ ... فَفُقِّئَتْ عَيْنٌ وفـاظت نَفْسُ[5]

---

(١) الروح : الفرح والسرور . والرتج : جمع رتاج وهو الباب . (لسان) .

(٢) البيتان من مطلع قصيدة في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١١٠ نسبت لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أو للسموأل بن عادياء اليهودي ، ونسبها صاحب الأمالي ١/٢٦٩ للسموأل أيضاً ، ورواية البيت الثاني فيها « إذا المرء لم يحمل على النفس ضيمها » ونسب ابن قتيبة البيتين لدكين في « الشعر والشعراء » ص ٥١٠ و « عيون الأخبار » ٣/١٧٢ ، وكذا أبو الفرج في الأغاني ٨/١٥٥ وانظر خط اللآلي ص ٥٩٥ ، ٥٩٦

(٣) ابتنى الرجل بزوجته : دخل بها .

(٤) السخن : الطعام الحار .

(٥) البيت الأول والرابع في اللسان (فيظ ، فيض) ولفظ التاريخ (وفاضت نفس) . وانظر ص ٢٠٧ حاشية (١) .

قال أحمد بن عبيد : ألاعُ : أتوقَّدُ حرصاً عليه ، ويحترقُ فؤادي طلباً له . والزَّبَحْلَحات : التي تحرَّك ويُذهب ويُجاءُ بها لاتقرُّ في موضع واحد[1] .

قال : وجرى بين الأصمعيِّ وأبي عُبيدة في هذا البيت : « وفاظَتْ نفس » [٩٢ / ب] تشاجرٌ ومنازعة ؛ فقال الأصمعي : العرب لاتقولُ فاظت نفسُه ولافاضَتْ نفسُه ، إنما يقولون : فاظ الرجل إذا مات ؛ قال : وكان يرويه : « وطَنَّ الضِّرْسُ »[2] .

قال أبو عُبيدة :

كذب[3] الأصمعيّ ، ماهو إلاَّ « فاضت نفس » .

وقال الكِسَائيُّ والفرَّاء ومَنْ نَقَل عنهما :

يقال : فاضت نفس ، وفاظت نفس ، وفاضَ الميتُ نَفْسَه ، وأفاضَهُ الله نَفْسَه .

١٠٣ ـ دُوَيْد بن نافع

ويقال : دُوَيدُ أبو عيسى

أخو مسلمة بن نافع مولى سعيد بن عبد الملك بن مروان . من أهل دمشق ، ويقال : من أهل حمص .

حدث عن الزُّهري قال : قال سعيد بن المُسَيَّب : إنَّ أبا قتادة أخبره أنَّ رسول الله ﷺ قال :

قال الله عزَّ وجلّ : إني فرضتُ على أُمَّتك خمسَ صلوات ، وعقدْتُ عندي عَهْداً أنه مَنْ حافظَ عليهنَّ لوقتهنَّ أدْخَلْتُه الجنة في عَهْدي ، ومَنْ لم يُحافظْ عليهنَّ فلا عَهْدَ له عندي .

---

(١) كذا الأصل ، ولا وجود لهذا اللفظ والتفسير في اللسان أو التاج ، والذي فيها (زلحلحات) وكذا في التاريخ (د) على الصواب ، وكذا في « الجليس الصالح الكافي » ١٢١/٢ ، ١٢٢ . والزلحلحات : مفردها : زلحلحة ، وهي القصعة المنبسطة لاقعر لها ، وقيل قريبة القعر . انظر اللسان (زلح) وفيه :

ثُمَّتَ جاؤوا بقصاعٍ مُلْسِ زَلَحْلَحات ظاهرات اليَبْسِ

أخذن في السوق بفَلْسٍ فَلْسِ

(٢) انظر اللسان (ضرس) .

(٣) كذب هنا بمعنى أخطأ .

١٠٤ ـ دَهْثَمُ بنُ خلف بن الفَضْل

أبو سعيد القرشيُّ الرَّمْليّ

سمع بدمشق وبغيرها .

حدّث عن سَوّار بن عمارة بسنده عن شهر بن حوشب قال :

أتيتُ أبا أُمَامة وهو في مسجد حمص ، فقلت : يا أبا أُمَامة ، حُدِّثتُ بشيءٍ عنك أنك حدَّثْتَ عن النبيِّ ﷺ ؟ قال : نعم ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ قالَ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يُحيي ويُميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، عَشْرَ مرَّات في دُبُرِ صلاةِ الغداة ، كُتب له بكلِّ واحدةٍ منها عَشْرُ حسنات ، ومُحي عنه عَشْرُ سيِّئات ، ورُفع له عشْرُ درجات ؛ وكانت له خيراً من عَشْرِ مُحَرَّرين يومَ القيامة ؛ ومن قالها في دُبُرِ صلاة العَصْر كان له مثلُ ذلك . [٩٣ / أ] فقلت له : أنت سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غير مرَّة ، ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس ، حتى ضمَّ أصابعه .

وحدّث عن روّاد بن الجرّاح بسنده عن عليٍّ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

صلاة الرجل متقلِّداً سَيْفَه ـ يعني ـ تفضُل على صلاةِ غير متقلِّدٍ سبع مئة ضعف . قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يباهي بالمتقلِّدِ سيفَهُ في سبيل الله عزَّ وجلَّ ملائكته وهم يصلُّونَ ما دامَ متقلِّدَه .